

سفر الأربعين

في آداب حملة القرآن المبين

تقديم

أ.د. فخرالدين بن الزبير المحسي

جمع وإعداد

طاهر بن نجم الدين بن نصر بن صالح المَحَسِيّ

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: «ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس يفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون وبخشوعه إذا الناس يختالون، وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكيا، محزونا، حليما، سكيتا، لينا. ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون جافيا ولا غافلا، ولا سخابا، ولا صياحا، ولا حديدا». صحيح : الزهد لأبي داود (ص: ١٧٠).

ونجمٌ في السماءِ بها تراءى — وفي الأرضِ ابنُ نجمِ الدِّينِ ضاءَ
وذا سفـرٌ مبيـنٌ للأديبِ — بـه مـن حليـةِ الأدبـاءِ جاءِ
فيا أهـلَ القـرَانِ به تحلُّوا — فـإنَّ به لـذا الفضلِ الرجاءَ

فضيلة الشيخ رضا جمعة عيد - حفظه الله ووفقه -

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إن هذا القرآن مأْدُبَةُ الله، فاقبلوا مأدُبَتَهُ ما استطعتم، إن هذا القرآن حبْلُ الله، والنورُ المبين، والشفاءُ النافع، عصمةٌ لمن تمسَّك به، ونجاةٌ لمن اتبعه، لا يزيغ فَيُستَعْتَبُ، ولا يَعوجُّ فَيُقَوَّمُ، ولا تنقضي عجائبه، ولا يَخْلَقُ من كثرة الردِّ، اتلوه؛ فإن الله يأجُرُكم على تلاوته كلَّ حرف عشرَ حسنات، أَما إني لا أَقول لكم: ﴿الم﴾ حرف، ولكن أَلفٌ ولامٌ وميمٌ».
صحيح موقوفا: أخرجه الدارمي.

الإيمان لابن منده (١/ ٣٦٤):

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما –: قَوْلُهُ: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [البقرة: ١٢١]، قَالَ: «يَتَّبِعُونَهُ حَقَّ اتِّبَاعِهِ، يُحِلُّونَ حَلَالَهُ وَيُحَرِّمُونَ حَرَامَهُ، وَلَا يُحَرِّفُونَهُ عَنْ مَوَاضِعِهِ».

«٣٥»



في آداب حملة القرآن المبين

تقديم

أ.د. فخرالدين بن الزبير المحسي

جمع وإعداد

طاهر بن نجم الدين بن نصر بن صالح المَحَسِيّ



شبكة الألوكة - قسم الكتب



تقديم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه،

وبعد:

فبين أيدينا سِفر لطيف، وجمع منيف، للأخ العزيز فضيلة الشيخ طاهر بن نجم الدين المَحسي –وفقه الله–، وهو حول بعض حقوق كتاب الله– جل في علاه–، لكل من تعاطاه، قراءة له، وعلماً به، وعملاً بمقتضاه.

وقد وُفق –حفظه الله– حينما جمع بين البركتين: بركة القرآن الكريم موضوعاً، وبركة السنة النبوية مضموناً، وسلك فيه طريقة العلماء الربانيين، في جمع الأربعين؛ لتكون أيسر تداولاً وحفظاً وتدارساً، مع تحليته بشرح مبين.

فأسأل الله تعالى أن يبارك في الكتاب، وكاتبه، وقارئه، وناشره، وكل مساهم فيه، وأن يجد محله بين الحلقات، ويثمر أنواع الخيرات، بعد تحصيل الحسنات.

وبالله الهدى والتوفيق، ومنه التسديد للتحقيق.

كتبه

أ.د.فخرالدين بن الزبير المحسي

الأستاذ بكلية الدراسات القضائية والأنظمة

جامعة أم القرى–مكة المكرمة



مدخــــل

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وصفيه وخيرته من خلقه، عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وبعد:

فقد كانت فكرة إفراد آداب حملة القرآن من الأحاديث النبوية تراودني منذ زمن إلى أن جدد العزم لها فضيلة الشيخ أبي الحارث معتز عثمان - حفظه المولى الرحمن - فحثني جزاه الله خيرا وبارك فيه على المضي والإسراع في إخراجه، فجاءت بهذه الطريقة التي أظن أني لم أسبق إليها في حدود علم واطلاعي.

فالله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به الجميع، إنه عليم سميع.

تعريف الأدب:

لغة: يقول ابن منظور: الأدب الذي يتأدب به الأديب من الناس، سمي أدبًا، لأنه يؤدب الناس إلى المحامد، وينهاهم عن المقابح.

اصطلاحًا: الأدب استعمال ما يحمد قولا وفعلا.

أهمية تعلم الآداب:

قال الآجري رحمه الله: «أدب المرء عنوان سعادته وفلاحه، وقلة أدبه عنوان شقاوته وبواره، فما استجلب خير الدنيا والآخرة بمثل الأدب، ولا استجلب حرمانها بمثل قلة الأدب، فتأمل أحوال كل شقي ومدبر كيف تجد قلة الأدب هي التي ساقته إلى الحرمان» أ.هـ.

ولهذا كانت وصايا العلماء عظيمة في الاهتمام بالأدب قبل العلم، وكان حرصهم على طلب الأدب أعظم من حرصهم على طلب العلم، يقول أبو بكر بن المطوعي: «اختلف إلى أبي عبد الله -أحمد بن حنبل- ثنتي عشرة سنة وهو يقرأ المسند على أولاده، فما كتبت عنه حديثاً واحداً، إنما كنت انظر الى هديه وأخلاقه».

آداب حملة القرآن الكريم:

قال النووي رحمه الله تعالى: في آداب حملة القرآن الكريم (ومن آدابه: أن يكون على أكمل الأحوال وأكرم الشمائل، وأن يرفع نفسه عن كل ما نهى القرآن عنه إجلالًا للقرآن وأن يكون مصوناً عن دنيء الاكتساب، شريف النفس، مترفعاً على الجبابرة والجفاة من أهل الدنيا، متواضعاً للصالحين وأهل الخير والمساكين، وأن يكون متخشعاً ذا سكينة ووقار، فقد جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال:

(يا معشر القراء ارفعوا رؤوسكم، فقد وضح لكم الطريق، واستبقوا الخيرات، ولا تكونوا عيالاً على الناس).

أولاً: آداب حملة القرآن الكريم مع الله.

- إخلاص النية لله تعالى، وتقوى الله في حفظ القرآن:

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: (من تعلّمَ علمًا يبتغى - يعني به وجهَ الله - لا يتعلّمُه إلا ليُصيبَ به عَرَضاً من الدنيا لم يجد عَرْفَ الجنةِ يومَ القيامةِ - يعني ريحَها) أخرجه أبو داود.

- تعظيمه وتوقيره وتعظيم شعائره:

فتعظيم الله وتعظيم شعائره وتعظيم كتابه أمارة على صحة القلب، واستقامته على التقوى، قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ سورة الحج، آية (٣٢).

- الدعاء:

وحملة القرآن الكريم أولى الناس بالعناية بهذه العبادة العظيمة وذلك بحرصهم على الاستعانة بالله عزوجل وطلب توفيقه في حفظ



ومدارسة القرآن الكريم، وذلك لما يجدونه من جهد أثناء حفظ القرآن الكريم.

- أن يسلم لما جاء من الأحكام والتشريعات:

فلا يقدم رأيه على النصوص الشرعية الواردة، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ سورة النحل، آية (١١٦).

ثانياً: آداب حملة القرآن الكريم مع معلم القرآن الكريم.

- التحري والبحث عن من يأخذ عنه من القراء:

قال مكي بن أبي طالب (يجب على طالب العلم أن يتخير لقراءته ونقله وضبطه أهل الديانة والصيانة والفهم..)، وأخرج مسلم في مقدمته: (إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم (صحيح مسلم.

- التواضع للعلماء وتقديرهم وإجلالهم:

قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ سورة المجادلة، آية (١١).



- الجلوس في حضرة الشيخ بوقار وتهيئة نفسه للدرس:

قال الشافعي رحمه الله: (كنت أصفح الورقة بين يدي مالك صفحاً رفيقاً هيبة له لئلا يسمع وقعها).

- حسن معاملة الشيخ والتلطف في السؤال عما أشكل عليه.

- معرفة فضل الشيخ وشكره على اعتنائه به، والدعاء له في حضوره وفي ظهر الغيب.

ثالثاً: آداب حملة القرآن الكريم مع الناس والأقران.

- معاملة الناس والأقران بمكارم الأخلاق:

فقد قال الآجري رحمه الله: (فينبغي له أن يجعل القرآن ربيعاً لقلبه، يعمر به ما خرب من قلبه، ويتأدب بآداب القرآن ويتخلق بأخلاق شريفة يبين بها عن سائر الناس ممن لا يقرأ القرآن).

- احترام الآخرين وعدم التكبر عليهم بعلمه واحتقارهم:

فقد قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ سورة الأعراف، آية (١٤٦).

- ترك المراء والجدال مع الناس عامة والأقران بشكل خاص:



قال رسول الله ﷺ: (أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن تَرَكَ المِرَاءَ وإن كان مُحِقًّا، وببيت في وسَطِ الجنَّةِ لمن تَرَكَ الكَذِب وإن كان مازحًا، وببيتٍ في أعلى الجنَّةِ لمن حسن خُلُقُهُ) حديث صحيح.

- **عدم كتمان العلم عن الناس والأقران:**

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ سورة البقرة، آية (١٥٩).

-حسن اختيار رفقاء الطلب ومحبة الخير لهم، وحسن الظن بهم والذب عن أعراضهم.

-التنزه عن الحسد لمن تميز من أقرانه بعلم أو حفظ أو مهارة أو فوز بمسابقة، وأن يترفع عن هذا الخلق البغيض، فإن حفظه لوجه الله تعالى وليس رياء ولا سمعة.

-حسن التعامل مع زملائه في حلقة التعليم وعدم التقدم عليهم في القراءة قبل مجيء نوبته إلا بإذنهم.

-أن يشجع أقرانه على الحفظ ويتعاون معهم في تسميع المحفوظ والمراجعة وتصحيح التلاوة ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾.



رابعاً: آداب حملة القرآن مع المسجد.

- محبة المساجد وتقديرها ومراعاة آداب الدخول للمسجد والخروج منه: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعائِرَ الله فَإِنّها مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ سورة الحج، آية (٣٢).

- التزين والتجمل والتطيب عند قصد بيت الله: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ سورة الأعراف، آية (٣١).

- إكرام المسجد عن الأذى.

- تجنب الاشتغال بأمور الدنيا، وكثرة الكلام فيما لا يعنيه، والعبث بما لا ينفعه كأجهزة الاتصال وغيرها.

- أن يستحضر فضل مجلس تعلم القرآن وأن الله يباهي بحملة القرآن ملائكته.

- ألا يرفع صوته بالقراءة بحيث يشوش على غيره.

خامساً: آداب حملة القرآن مع النفس.

- تطهير القلب والعناية به لتهيئته لحفظ القرآن.

- القيام بالفرائض وتزكية النفس بالنوافل، فلابد أن يكون للقرآن على صاحبه أثر في عبادته فرضاً ونفلًا، فيحرص على القيام بالفرائض ويكون له حظ من النوافل وأعمال البر، قال ابن مسعود رضي الله

عنه: (ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبورعه إذا الناس يخلطون، وبتواضعه إذا الناس يختالون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون).

- التحلي بمكارم الأخلاق

يقول الآجري رحمه الله تعالى: (أهل القرآن ينبغي أن تكون أخلاقهم مباينة لأخلاق من سواهم ممن لم يعلم كعلمهم فإذا نزلت بهم الشدائد لجؤوا إلى الله فيها، ولم يلجؤوا فيها إلى مخلوق، وكان الله أسبق إلى قلوبهم، وقد تأدبوا بأدب القرآن والسنة، فهم أعلام يقتدى بفعالهم، لأنهم خاصة الله وأهله، ﴿أُولَـٰئِكَ حِزْبُ الله أَلَا إِنَّ حِزْبَ الله هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: (حامل القرآن حامل راية الإسلام، لا ينبغي له أن يلهو مع من يلهو، ولا يسهو مع من يسهو، ولا يلغو مع من يلغو).

- ملازمة الخشوع والخضوع والبكاء عند تلاوة القرآن.

- الحرص والصبر على التعلم:

ففي صحيح مسلم عن يحيى بن أبي كثير قال: (لا ينال العلم براحة الجسد).



- التدرج في طلب العلم.

- العمل بعلمه.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى الله لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ الله وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ سورة الزمر، آية (١٧-١٨).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (والذي نفسي بيده إن حق تلاوته أن يحل حلاله ويحرم حرامه ويقرأه كما أنزله الله ولا يحرف الكلم عن مواضعه، ولا يتأول منه شيئا على غير تأويله).

ثم العناية والاهتمام بهذا الأثر عملا وتطبيقا وواقعا:

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: (لقد عشنا برهة من دهرنا وإن أحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد ﷺ، فنتعلم حلالها وحرامها، وما ينبغي أن يوقف عنده منها، ولقد رأيت اليوم رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته، ما يدري ما آمره ولا زاجره، ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه، وينثره نثر الدقل).

نسأل الله أن يوفقنا إلى تلاوة القرآن الكريم وحفظه على الوجه الذي يرضيه عنا وأن يوفقنا للامتثال بآداب حملة القرآن الكريم.

وقد ذكر الإمام أبو بكر محمد بن الحسين الآجري رحمه الله، في كتابه النافع «أخلاق حملة القرآن»، بابا في (أدب القراء عند تلاوتهم القرآن مما لا ينبغي لهم جهله)، لخص فيه جملة من آداب قارئ القرآن، من أدب السنة، وهدي السلف، فقال رحمه الله:

«وأحب لمن أراد قراءة القرآن، من ليل أو نهار أن يتطهر، وأن يستاك، وذلك تعظيم للقرآن ؛ لأنه يتلو كلام الرب عز وجل ؛ وذلك أن الملائكة تدنو منه عند تلاوته للقرآن، ويدنو منه الملك، فإن كان متسوكا وضع فاه على فيه، فكلما قرأ آية أخذها الملك بفيه، وإن لم يكن تسوك تباعد منه ؛ فلا ينبغي لكم يا أهل القرآن أن تباعدوا منكم الملك، استعملوا الأدب، فما منكم من أحد إلا وهو يكره إذا لم يتسوك أن يجالس إخوانه.

وأحب أن يكثر القراءة في المصحف لفضل من قرأ في المصحف، ولا ينبغي له أن يحمل المصحف إلا وهو طاهر، فإن أحب أن يقرأ في المصحف على غير طهارة فلا بأس، ولكن لا يمسه، ولكن يصفح المصحف بشيء، ولا يمسه إلا طاهراً.

وينبغي للقارئ إذا كان يقرأ فخرجت منه ريح أمسك عن القراءة، حتى تنقضي الريح، ثم إن أحب أن يتوضأ ثم يقرأ طاهرا فهو أفضل، وإن قرأ غير طاهر فلا بأس منه.

وإذا تثاءب وهو يقرأ، أمسك عن القراءة حتى ينقضي التثاؤب.

وأحب للقارئ أن يأخذ نفسه بسجود القرآن كلما مر بسجدة سجد فيها، وفي القرآن خمس عشرة سجدة، وقد قيل: أربع عشرة، وقد قيل: إحدى عشرة سجدة، والذي أختار له أن يسجد كلما مرت به سجدة؛ فإنه يرضي ربه عز وجل ويغيظ عدوه الشيطان. روي عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد، اعتزل الشيطان يبكي، يقول: يا ويله أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار» [رواه مسلم في صحيحه (٨١)].

وأحب لمن كان جالسا يقرأ أن يستقبل بوجهه القبلة، إذا أمكن.

وأحب لمن تلا القرآن أن يقرأه بحزن، ويبكي إن قدر، فإن لم يقدر تباكى.

وأحب له أن يتفكر في تلاوته، ويتدبر ما يتلوه، ويستعمل غض الطرف عما يلهي القلوب، ولو ترك كل شيء حتى ينقضي درسه كان أحب إلي؛ ليحضر فهمه، فلا يشتغل بغير كلام مولاه.

وأحب إذا درس فمرت به آية رحمة سأل مولاه الكريم، وإذا مرت به آية عذاب استعاذ بالله عز وجل من النار، وإذا مر بآية تنزيه لله عز وجل عما قال أهل الكذب سبح الله وعظمه. وإذا كان يقرأ فأدركه النعاس، فحكمه أن يقطع القرآن حتى يرقد، حتى يقرأه وهو يعقل ما يتلو..



وذكر رحمه الله طرفا من الآثار التي تشهد لما ذكره، ثم قال في آخر الفصل: «جميع ما ذكرته ينبغي لأهل القرآن أن يتأدبوا به ولا يغفلوا عنه، فإذا انصرفوا عن تلاوة القرآن: اعتبروا نفوسهم بالمحاسبة لها:

فإن تبينوا منها قبول ما ندبهم إليه مولاهم الكريم،مما هو واجب عليهم من أداء فرائضه، واجتناب محارمه: حمدوه في ذلك، وشكروا الله على ما وفقهم له.

وإن علموا أن النفوس معرضة عما ندبهم إليه مولاهم الكريم، قليلة الاكتراث به، استغفروا الله من تقصيرهم، وسألوه النُّقلة من هذه الحال التي لا تحسن بأهل القرآن، ولا يرضاها لهم مولاهم، إلى حال يرضاها، فإنه لا يقطع من لجأ إليه.

ومن كانت هذه حاله وجد منفعة تلاوة القرآن في جميع أموره ثم روى ـ رحمه الله ـ بإسناده، عن قتادة قال: «لم يجالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان، قضى الله الذي قضى: ﴿شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَاراً﴾ الاسراء/ ٨٢.

وروى عن قتادة ـ أيضا ـ في قول الله عز وجل: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ الأعراف / ٥٨، قال: «البلد الطيب: المؤمن، سمع كتاب الله فوعاه وأخذ به، وانتفع به ؛ كمثل هذه الأرض أصابها الغيث فأنبتت وأمرعت. والذي خبث لا يخرج إلا نكدا عسرا، وهذا

مثل الكافر قد سمع القرآن فلم يأخذ به، ولم ينتفع به؛ كمثل هذه الأرض الخبيثة أصابها الغيث فلم تنبت شيئا، ولم تمرع شيئا». انتهى

أخلاق حملة القرآن، للآجري (٦٧-٧٤).

فضل تلاوة القرآن العظيم

الحديث الأول

عَنْ زَيْدٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَلَّامٍ، يَقُولُ: حَدَّثَنِي أَبُو أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ». قَالَ مُعَاوِيَةُ: بَلَغَنِي أَنَّ الْبَطَلَةَ: السَّحَرَةُ.

أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٨٠٤).

القُرآنُ فيه الخَيرُ والبَرَكةُ لَمَنْ يَقرَؤه ويَلتزِمُه؛ فهو حبْلُ اللهِ المَوصولُ، وفيهِ طُمَأنينَةُ النَّفسِ، وعَظيمُ الأَجرِ، وفيه النَّجاةُ يومَ القِيامةِ، والحَصانةُ مِن كَيْدِ السَّحرةِ في الدُّنيا، وخاصَّةً سُورَةَ البقَرةِ وآلِ عِمرانَ.

وفي هذا الحَديثِ يحُثُّ النَّبيُّ ﷺ على قِراءةِ القرآنِ، ويأمُرُ بالمُداومةِ عليها، ويُخبِرُ ﷺ أنَّ القرآنَ يَتمثَّلُ يومَ القِيامةِ بصُورةٍ يَراها النَّاسُ، كما يَجعَلُ اللهُ لأعمالِ العِبادِ صُورةً ووَزْنًا؛ لِتُوضَعَ في المِيزانِ، ويَشفَعُ لِقارِئيهِ العامِلينَ به، ويُحاجُّ عنهم عِندَ اللهِ سُبحانَه وتعالَى طالبًا المَغفِرةَ لهم، وأنْ يُخلَّصوا مِن النارِ ويُدْخَلوا الجَنةَ، أو في رَفْعِ دَرجاتِهم في الجَنَّةِ.

وكرَّرَ «اقْرَؤوا»؛ حثًّا على قِراءةِ سُوَرٍ مُعَيَّنَةٍ، وتَأكيدًا لِخُصُوصِيَّتِهَا في الشَّفاعةِ، وقولُه: «الزَّهْرَاوَيْنِ»، أي: المُنِيرَتَيْنِ، وسُمِّيَت البقرةُ وآلُ عِمرانَ الزَّهراوينِ؛ لأنَّهما نُورانِ، أو لِكَثْرةِ أنوارِ أحكامِ الشَّرْعِ والأسماءِ الحُسنَى فيهما، ولا شكَّ أنَّ نُورَ كَلامِ الله أشَدُّ وأكثرُ ضِياءً، وكُلُّ سُورةٍ مِن سُوَرِ القرآنِ زَهْراءُ؛ لِمَا فيها مِن أحكامٍ ومَواعِظَ، ولِمَا فيها مِن شِفاءِ الصُّدورِ، وتَنويرِ القلوبِ، وتَكثيرِ الأَجْرِ لِقَارِئِها. وخصَّ ﷺ بالذِّكرِ قِراءةَ سُورَتَي البقرةِ وآلِ عِمرانَ؛ بيانًا لعِظَمِ مَنزلتِهما، وتأكيدًا لِخُصوصِيَّتِهما في الشَّفاعةِ لمَن داوَمَ على قِراءتِهما والعمَلِ بما فيهما، وبيَّنَ النَّبيُّ ﷺ أنَّهما تَتشكَّلانِ وتَتجسَّدانِ وتَحْضُرانِ، أو تَتصوَّرانِ كأنَّهما «غَمامتانِ»، أي: سَحابتانِ، تُظِلَّانِ صاحبَهما عن حَرِّ الموقِفِ، وإنَّما سُمِّيَ الغَمام غَمامًا لأنَّه يَغُمُّ السَّماءَ، فيَستُرُها، «أو كأنَّهما غَيايتانِ»، والغَيايَةُ: كُلُّ ما أَظَلَّ الإنسانَ فَوْقَ رأسِهِ؛ مِن سَحابةٍ، وغيرِها، «أو كأنَّهما فِرْقانِ»، أي: طائفتانِ وجَماعتانِ، «مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ»، وهي جَماعةُ الطَّيرِ الباسِطةُ أجنحَتَهَا متَّصلًا بعضُها ببعضٍ، والمرادُ أنَّهما يَقِيانِ قارِئَهما مِن حَرِّ الموقِفِ، وكَرْبِ يومِ القِيامةِ، وتُدافِعانِ الجحيمَ والزَّبانيَةَ، أو تُجادلانِ عنه بالشَّفاعةِ، أو عِندَ السُّؤالِ إذا لم يَنْطِقِ اللِّسانُ، وأطْبَقَتِ الشَّفَتانِ، وضاعتِ الحُجَجُ.

وقولُهُ: «اقْرَؤُوا سُورةَ البقرةِ» تَخصيصٌ بَعْدَ تَخصيصٍ؛ فإنَّه عمَّم أوَّلًا بالقُرآنِ كلِّه، ثمَّ خصَّصَ الزَّهراوينِ، ثمَّ خَصَّ البقرةَ منهما؛ دَلالةً على عِظَمِ شأْنِها، وكَبيرِ فضْلِها؛ فقال: «فإنَّ أَخْذَها» وذلك بالمواظَبةِ على تِلاوتِها، والتَّدبُّرِ في مَعانيها، والعَمَلِ بما فيها، «بَرَكَةٌ»، أي: زِيادةٌ، ونَماءٌ، ومَنْفَعةٌ عَظيمةٌ لِقارئِها، «وَتَرْكَهَا حَسْرةٌ»، أي: تَلهُّفٌ وتأسُّفٌ على ما فاتَ مِنَ الثَّوابِ، ثمَّ أخبرَ ﷺ أنَّه لا يَقْدِرُ عليها «البَطَلَةُ» وهم السَّحرةُ، والمقصودُ أنَّهم لا يَستطيعون قِراءتَها؛ لِزَيْغِهم عَنِ الحقِّ، وانْهماكِهم في الباطلِ، أو أنَّهم لا يَستطيعون دَفْعَها، واختراقَ تَحْصِينِهَا لِمَنْ قَرَأَها أو حَفِظَهَا؛ فهي حِصْنٌ لِقارئِها وحافِظِهَا مِنَ السِّحْرِ، وَقِيلَ: البَطَلَةُ: أصحابُ البِطالةِ والكُسَالَى؛ فإنَّهم لا يَستطيعون حِفْظَهَا، ولا قِراءتَها؛ لِطُولِها، ولِتَعَوُّدِهم الكَسَلَ. وفي روايةٍ بواوِ العطفِ وليْست (أوْ): «وكَأنَّهما غَيايَتانِ، وكَأنَّهما فِرْقانِ مِن طَيْرٍ صَوافَّ»، ويُجمَعُ بيْنهما أنَّ (أو) في الرِّوايةِ الأُولى ليْست للشَّكِّ، ولا للتَّخييرِ في تَشبيهِ السُّورتَينِ، ولا للتَّرديدِ، بلْ هي للتَّنويعِ وتَقسيمِ القارئِينَ؛ ففريقٌ منهم تكونُ السُّورتانِ لهما كالغَمامةِ، وفريقٌ كالغَيايَةِ، وفريقٌ كأنَّهما جَماعتانِ مِن الطَّيرِ الباسطةِ أجنحتَها.

وفي الحَديثِ: الحثُّ على قِراءَةِ القُرآنِ، وفَضيلةُ سُورَةِ البقَرةِ وآلِ عِمرانَ، وعِظَمُ سُورةِ البقَرةِ خُصوصًا.

الحديث الثاني

عَنْ أَيُّوبَ بْنِ مُوسَى، قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ كَعْبٍ الْقُرَظِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْدَ الله بْنَ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ الله فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ».

أخرجه الترمذي (٢٩١٠)، وصححه الألباني.

لِقراءةِ القرآنِ الكريمِ وتلاوتِه أجْرٌ عظيمٌ، وهِباتٌ مِن الله ومَزايا، ومَنافِعُ جليلةٌ، ومِن ذلك ما يُخبِرُ النَّبيُّ ﷺ في هذا الحديثِ عن فَضلِ الله على مَن قَرَأ القُرآنَ، بقولِه: «مَن قرَأ حرْفًا مِن كِتابِ الله فله به»، أي: يَأجُرُه الله عزَّ وجلَّ على قِراءتِه للقِرآنِ أنْ يكونَ له بكلِّ حرفٍ قرَأه منه «حسَنةٌ، والحسَنةُ بعَشْرِ أمثالِها»، أي: يُضاعَفُ له الأجرُ إلى عشَرةِ أمثالِه، وذلك مِصْداقًا لقولِه تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، يقولُ النَّبيُّ ﷺ: «لا أقولُ: الم حَرْفٌ»، أي: ولا يَقصِدُ بالحَرْفِ هنا كلَّ كَلمةٍ مِن القرآنِ؛ وذلك أنَّ الحرفَ قد يُطلَقُ ويُرادُ به الكلمةُ والجملةُ المفيدةُ عندَ العربِ، «ولكنْ ألِفٌ حَرْفٌ، ولامٌ حرفٌ، وميمٌ حرفٌ»، أي: إنَّ المرادَ هو أحرُفُ الكلمةِ نَفْسِها، وعلى قِراءةِ كلِّ حرفٍ مِن الكلمةِ حسَنةٌ، وهذا تأكيدٌ لِمَا يَشتمِلُ عليه القرآنُ مِن عظيمِ الفضلِ والجزاءِ.

فضلُ مَنْ تَعلَّمَ القُرْآنَ وَعلَّمَهُ

الحديث الثالث

عن سَعْد بن عُبَيْدَةَ،عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ».

قَالَ: وَأَقْرَأَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي إِمْرَةِ عُثْمَانَ، حَتَّى كَانَ الحَجَّاجُ قَالَ: «وَذَاكَ الَّذِي أَقْعَدَنِي مَقْعَدِي هَذَا».

أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٠٢٧).

وفي لفظ:

«إِنَّ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ».

القرآنُ الكريمُ كلامُ الله المقدَّسُ، وفيه أحكامُه وأوامِرُه ونواهيه، ومَواعِظُه، وغيرُ ذلك من المعاني النَّفيسةِ التي تُستخرَجُ بالتدَبُّرِ والتعَقُّلِ، والمسلِمُ مُطالَبٌ بأن يقومَ بذلك مع حِفظِ القُرآنِ ومَعرِفةِ ألفاظِه ومبانيه ومعانيه، وخيرُ الأعمالِ وأنفعُها للفَردِ والمجتَمَعِ هو تعلُّمُه وتعليمُه؛ فهو طريقُ الهِدايةِ والصَّلاحِ.

وفي هذا الحديثِ يُخبِر النَّبيُّ ﷺ أنَّ أَفضلَ المُسلمينِ وأَرفَعَهم ذِكرًا وأَعلاهُم عِندَ الله دَرجةً؛ مَن تَعلَّمَ القُرآنَ؛ تِلاوةً وحِفظًا وتَرتيلًا، وتَعلَّمَه؛ فِقهًا وتَفسيرًا، فأصبَح عالِمًا بمَعانيه، فَقيهًا في أحكامِه، وعلَّم

غيرَه ما عِندَه مِن عُلومِ القُرآنِ مَع عَملِه به، وإلَّا كانَ القُرآنُ حُجَّةً علَيه، وليس حُجَّةً له.

فخَيرُ النَّاسِ مَن جَمَعَ بيْن هَذينِ الوَصْفينِ؛ مَن تعلَّم القُرآنَ وعلَّم القُرآنَ.

قالَ سعدُ بنُ عُبَيدةَ: وأَقرأَ أبو عَبدِ الرَّحمنِ السُّلميُّ النَّاسَ -أي: جعل يعلمهم القرآن- في إمرةِ عُثمانَ بنِ عَفَّانَ إلى أنِ انتَهى إقراؤُه النَّاسَ إلى زَمنِ الحَجَّاجِ بنِ يُوسُفَ الثَّقفيِّ، وهي مُدَّةٌ طَويلةٌ، والَّذي حَمَلَه على ذلك هو الحديثُ الَّذي حَدَّث به عُثمانُ في أفضليَّةِ مَن تَعلَّم القُرآنَ وعَلَّمه، وأَقْعَده مقعدَه هذا، وأشارَ به إلى مَقعدِه الَّذي كانَ يُقرِئ النَّاسَ فيه. وقيل: إنَّه أَرادَ بقولِه: «مَقْعَدي هذا» المقعدَ الرَّفيعَ والمنصبَ الجَليلَ الذي حَصَل له مع طُولِ المُدَّةِ بِبركةِ تَعليمِه القُرآنَ الكَريمَ للنَّاسِ.

وفي الحَديثِ: بَيانُ شَرفِ القُرآنِ وفَضلِ تعلُّمِه وتعليمِه.

وفيه: بيانُ فَضلِ حامِلِ القُرآنِ ومُعلِّمِه، وأنَّه خَيرُ المُؤمنينَ؛ لأنَّه أعظَمُهم نَفعًا وإفادةً.



فضل حافظ القرآن العظيم

الحديث الرابع

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ، وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ».

أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٩٣٧).

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: «الْمَاهِرُ الْحَاذِقُ وَأَصْلُهُ الْحِذْقُ بِالسِّبَاحَةِ قَالَهُ الْهَرَوِيُّ؛ وَالْمُرَادُ بِالْمَهَارَةِ بِالْقُرْآنِ: جَوْدَةُ الْحِفْظِ، وَجَوْدَةُ التِّلَاوَةِ، مِنْ غَيْرِ تَرَدُّدٍ فِيهِ، لِكَوْنِهِ يَسَّرَهُ الله تَعَالَى عَلَيْهِ كَمَا يَسَّرَهُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَكَانَ مِثْلَهَا فِي الْحِفْظِ وَالدَّرَجَةِ». فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٥١٩).

الحديث الخامس

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا».

أخرجه الترمذي (٢٠٠٨)، وصححه الألباني.

القرآنُ هو كلامُ الله عزَّ وجلَّ، وهو خيرُ الكلامِ وأفضلُه، وحامِلُه في صَدرِه خيرُ النَّاسِ وأفضلُهم في الدُّنيا والآخِرَة.

وفي هذا الحديثُ بعضُ فَضائلِ حامِلِ القُرآنِ، حيث يقول النبي ﷺ: «يُقالُ» أي: معَ دُخولِ الجَنَّةِ «لصاحِبِ القُرآنِ»، وهو القارِئُ للقرآنِ، العامِلُ بما فيه، الملازمُ له تِلاوةً وحِفظًا؛ فالناس تتفاوتُ مكانتُهم في الجَنَّةِ بحَسَبِ تَفاوُتِهم في حِفظِه والعملِ بما فيه، وتَدبُّره؛ ولذلك يُقالُ له: «اقْرَأْ» القرآنَ «وارْتَقِ» في دَرجاتِ الجَنَّةِ، «ورَتِّلْ كما كُنْتَ تُرَتِّلُ في الدُّنيا» بِقراءتِه بتَأنٍّ وطُمَأنينةٍ مُجوَّدًا؛ فالجَنَّةُ دارُ جزاءٍ لا تَكليفٍ، فهي قِراءةُ مُتْعةٍ؛ فإنَّ مَنزِلَك عِنْدَ آخرِ آيةٍ تَقرَؤُها.

وفي الحَديثِ: أنَّ درَجاتِ الجَنَّةِ تُضاهي عددَ الآياتِ.

وفيه: فضيلةُ حافِظِ القرآنِ العاملِ به.

وفيه: فضيلةُ تَرتيلِ القراءةِ وتجويدِها على الإسراعِ فيها.



الحديث السادس

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ للهَّ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ، أَهْلُ الله وَخَاصَّتُهُ».

أخرجه ابن ماجه (٢١٥)، وصححه الألباني.

قوله: «أهلين»، قال السندي: إنما يجمع تنبيهًا على كثرتهم.

«أهل القرآن»، أي: حَفَظة القرآن يقرؤونه آناء الليل وأطراف النهار العاملون به.

«أهل الله»، أي: أولياؤه المختصون به اختصاص أهل الإنسان به.

أهل القرآن هم العاملون به.



الحديث السابع

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّوَّاسَ بْنَ سَمْعَانَ الْكِلَابِيَّ رضي الله عنه، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ، تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَآلُ عِمْرَانَ»، وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ الله ﷺ ثَلَاثَةَ أَمْثَالٍ مَا نَسِيتُهُنَّ بَعْدُ، قَالَ: «كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ، أَوْ كَأَنَّهُمَا حِزْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا».

أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٨٠٥).

شرح الحديث:

عَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري رض الله عنه قَالَ: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ كَائِنٌ لَكُمْ أَجْراً، وَكَائِنٌ لَكُمْ ذِكْراً، وَكَائِنٌ بِكُمْ نُوراً، وَكَائِنٌ عَلَيْكُمْ وِزْراً، اتَّبِعُوا الْقُرْآنَ، وَلاَ يَتَّبِعْكُمُ الْقُرْآنُ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعِ الْقُرْآنَ يَهْبِطْ بِهِ فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمَنِ اتَّبَعَهُ الْقُرْآنُ يَزُخُّ فِي قَفَاهُ، فَيَقْذِفُهُ فِي جَهَنَّمَ».

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: يَزُخُّ: يَدْفَعُ.

أخرجه الدارمي بإسناد حسن (٣٤٣١).



وقال العلامة ابن القيم - رحمه الله تعالى -:

«ولهذا كان أهل القرآن هم العالمون به العاملون بما فيه، وإن لم يحفظوه عن ظهر قلب، وأما من حفِظه ولم يفهمه ولم يعمل به، فليس من أهله، وإن أقام حروفه إقامةَ السهم». «زاد المعاد في هدي خير العباد» (١/ ٤٠٢).



عقوبة من لم يعمل بالقرآن الكريم

الحديث الثامن

عن سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رَضِيَ الله عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الرُّؤْيَا قَالَ: «أَمَّا الَّذِي يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ، فَإِنَّهُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ، وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ».

أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١١٤٣)، وهو جزء من حديث طويل في صحيح «البخاري» برقم (٧٠٤٧).

ومعنى: «(يثلغ رأسه) يعنى: يشدخه، والمثلغ من الرطب والتمر: ما أسقطه المطر»، انتهى.

والمقصود من الحديث ترك العمل بالقرآن، قال «ابن بطال»: «يعنى يترك حفظ حروفه والعمل بمعانيه، فأما إذا ترك حفظ حروفه، وعمل بمعانيه: فليس برافض له، لكنه قد أتى في الحديث أنه يحشر يوم القيامة أجذم، أي: مقطوع الحجة»، انتهى.

«شرح صحيح البخارى» لابن بطال: (٣/ ١٣٥)، (٩/ ٥٦٤).

وقال «الطيبي»: وقوله: (فنام عنه) أي أعرض عنه.



(وعن) ها هنا كما في قوله تعالى: الذين هم عن صلاتهم ساهون؛ أي: ساهون سهو ترك لها، وقلة التفات إليها، وذلك فعل المنافقين والفسقة.

فمعنى (نام عنه بالليل): أنه لم يتله بالليل، ولم يتفكر فيما يجب أن يأتي به ويذر من الأوامر والنواهي، مثل المنافقين والفسقة، فإذا كان حاله بالليل هذا، فلا يقوم به فيعمل بالنهار بما فيه.

ويؤيد هذا التأويل: ما جاء في رواية أخرى للبخاري: (أما الرجل الذي يثلغ رأسه بالحجر، فإنه الرجل الذي يأخذ القرآن فيرفضه، وينام عن الصلاة المكتوبة).

وأما من نام من غير أن يتجافي عنه، لتقصير أو عجز: فهو خارج من هذا الوعيد، انتهى.

«شرح المشكاة» للطيبي: (٩/ ٣٠٠٩-٣٠١٠).

فالحاصل: أن من أسباب العذاب أن ينام عن القرآن، تركًا للعمل به، وقلة التفات إليه.

أما من ترك شيئًا لتقصيره وعجزه: فلا يدخل في هذا الوعيد.

ينبغي على المؤمن أن يحرص على العمل بالقرآن، فإن الله يقول: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ

قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣]، وقال: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٠٦]، وقال: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ الله وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٩].

وقال الْفُضَيْل - رحمه الله -: «إِنَّمَا نَزَلَ الْقُرْآنُ لِيُعْمَلَ بِهِ فَاتَّخَذَ النَّاسُ قِرَاءَتَهُ عَمَلًا، قَالَ: قِيلَ كَيْفَ الْعَمَلُ بِهِ؟ قَالَ: أَيْ لِيُحِلُّوا حَلَالَهُ وَيُحَرِّمُوا حَرَامَهُ، وَيَأْتَمِرُوا بِأَوَامِرِهِ، وَيَنْتَهُوا عَنْ نَوَاهِيهِ، وَيَقِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ»، انتهى.

«اقتضاء العلم العمل» للخطيب البغدادي (ص٧٦).

الحديث التاسع

عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، عَنْ زِيَادِ بْنِ لَبِيد رضي الله عنه، ، قَالَ: ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا، فَقَالَ: «ذَاكَ عِنْدَ أَوَانِ ذَهَابِ الْعِلْمِ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله وَكَيْفَ يَذْهَبُ الْعِلْمُ، وَنَحْنُ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَنُقْرِئُهُ أَبْنَاءَنَا، وَيُقْرِئُهُ أَبْنَاؤُنَا أَبْنَاءَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ زِيَادُ إِنْ كُنْتُ لَأَرَاكَ مِنْ أَفْقَهِ رَجُلٍ بِالْمَدِينَةِ، أَوَلَيْسَ هَذِهِ الْيَهُودُ، وَالنَّصَارَى، يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ، وَالْإِنْجِيلَ لَا يَعْمَلُونَ بِشَيْءٍ مِمَّا فِيهِمَا؟».

أخرجه ابن ماجه (٤٠٤٨)، وصححه الألباني.

(ثكلتك أمك) أي فقدتك. وهو دعاء عليه بالموت ظاهرا. المقصود التعجب من الغفلة عن مثل هذا الأمر. (لا يعملون بشيء مما فيهما) أي ومن لا يعمل بعلمه هو والجاهل سواء.]

الحديث العاشر

عنْ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي السَّائِبُ بْنُ يَزِيدَ، أَنَّ شُرَيْحًا الْحَضْرَمِيَّ ذُكِرَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يَتَوَسَّدُ الْقُرْآنَ».

أخرجه النسائي (١٧٨٣)، وصححه الألباني.

القُرآنُ الكريمُ هو كِتابُ اللهِ وحَبْلُه المتينُ، وقد أُمِرْنا بالتَّمسُّكِ به والمُحافَظةِ على قِراءتِه وحِفْظِه وتَدبُّرِه، وقد بَشَّر النَّبيُّ ﷺ قارِئَه ومُتدبِّره بالعُلوِّ في درَجاتِ الجنَّةِ.

وفي هذا الحَديثِ يُخبِرُ السَّائبُ بنُ يَزيدَ رضِيَ اللهُ عنه: «أنَّ شُريحًا الحَضرميَّ ذُكِر عندَ رَسولِ اللهِ ﷺ»، أي: ذَكَر اسْمَه الحاضِرونَ في جَلْسةٍ مع النبيِّ ﷺ، وكان شُريحٌ الحَضرميُّ مِن أفاضِلِ أصحابِ النَّبيِّ ﷺ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «لا يَتوسَّدُ القرآنَ»، وفي رِوايةٍ: «ذاك رجلٌ لا يَتوسَّدُ القُرآنَ»، يَعني: لا ينامُ عليه فيَصيرُ له كالوِسادةِ، بل هو يُجِلُّ القرآنَ ويُبجِّلُه، وقيل: يَحتمِلُ أنْ يكونَ مَدحًا وذَمًّا؛ فالمدحُ معناه: أنَّه لا ينامُ باللَّيلِ عن القرآنِ، بل هو يَقرَؤُه ويتهجَّدُ به، ولا يَهجُرُه، بل ينامُ معه، فكأنَّ القُرآنَ لا يفارِقُه، وقيل: معناه الذَّمُّ، أي: إنَّه لا يَحفَظُ القُرآنَ، ولا يُديمُ قِراءتَه، فإذا نام لَم يَتوسَّدْ معه القُرآنَ، ولَم يُصاحِبْه في نومِه.

وفي الحديثِ: الحُثُّ على تعلُّمِ القرآنِ والمحافظةِ على قِراءتِه.



وجوب الإخلاص في تعلم القرآن الكريم وتعليمه

الحديث الحادي عشر

عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، فَقَالَ لَهُ نَاتِلُ أَهْلِ الشَّامِ: أَيُّهَا الشَّيْخُ، حَدِّثْنَا حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ».

أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٩٠٥).




قال الإمام النووي - رحمه الله تعالى -:

«أول ما ينبغي للمقرئ والقارئ أن يقصدا بذلك رضا الله تعالى قال الله تعالى: (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة). أي: الملة المستقيمة. وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ:»إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى«. وهذا الحديث من أصول الإسلام.

وروينا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:»إنما يعطى الرجل على قدر نيته«. وعن غيره:»إنما يعطى الناس على قدر نياتهم«.

وروينا عن الأستاذ أبي القاسم القشيري رحمه الله تعالى قال: الإخلاص: إفراد الحق في الطاعة بالقصد، وهو أن يريد بطاعته التقرب الى الله تعالى دون شئ آخر من تصنع لمخلوق أو اكتساب محمدة عند الناس أو محبة أو مدح من الخلق أو معنى من المعاني سوى التقرب إلى الله تعالى.

قال: ويصح أن يقال الإخلاص تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين.

وعن حذيفة المرعشي –رحمه الله تعالى–: الإخلاص استواء أفعال العبد في الظاهر والباطن.



وعن ذي النون -رحمه الله تعالى- قال:

ثلاث من علامات الإخلاص:

١ - استواء المدح والذم من العامة.

٢ - ونسيان رؤية العمل في الأعمال.

٣ - واقتضاء ثواب الأعمال في الآخرة.

وعن الفضيل بن عياض -رضي الله عنه- قال: ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما.

وعن سهل التستري -رحمه الله تعالى- قال: نظر الأكياس في تفسير الإخلاص فلم يجدوا غير هذا: أن تكون حركته وسكونه في سره وعلانيته لله تعالى وحده لا يمازجه شئ لا نفس ولا هوى ولا دنيا.

وعن السري -رضي الله عنه- قال: لا تعمل للناس شيئا ولا تترك لهم شيئا ولا تغط لهم شيئا ولا تكشف لهم شيئا.

وعن القشيري قال: أفضل الصدق استواء الصدق والعلانية.

وعن الحارث المحاسبي -رحمه الله تعالى- قال:

الصادق هو الذي لا يبالي ولو خرج عن كل قدر له في قلوب الخلائق من أجل صلاح قلبه ولا يحب اطلاع الناس على مثاقيل الذر من حسن عمله ولا يكره إطلاع الناس على السيئ من عمله فإن كراهته لذلك دليل على أنه يحب الزيادة عندهم وليس هذا من أخلاق الصديقين وعن غيره إذا طلبت الله تعالى بالصدق أعطاك الله مرآة تبصر فيها كل شيئ من عجائب الدنيا والآخرة وأقاويل السلف في هذا كثيرة أشرنا إلى هذه الأحرف منها تنبيها على المطلوب وقد ذكرت جملا من عن ذلك مع شرحها في أول شرح المهذب.

التبيان في آداب حملة القرآن (ص: ٣١).

الحديث الثاني عشر

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ وَسَلُوا الله بِهِ الْجَنَّةَ، قَبْلَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ قَوْمٌ يَسْأَلُونَ بِهِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْقُرْآنَ يَتَعَلَّمُهُ ثَلَاثَةٌ: رَجُلٌ يُبَاهِي بِهِ، وَرَجُلٌ يَسْتَأْكِلُ بِهِ، وَرَجُلٌ يَقْرَأُهُ لله - عز وجل -».

وفي لفظ:

«تعلموا القرآن، وسلوا الله به الجنة، قبل أن يتعلمه قوم، يسألون به الدنيا، فإن القرآن يتعلمه ثلاثة: رجل يباهي به، ورجل يستأكل به، ورجل يقرأه لله».

أخرجه ابن نصر في قيام الليل (ص ٧٤)، وهو في السلسلة الصحيحة (٢٥٨).

وجوب تعلم الإيمان قبل القرآن

الحديث الثالث عشر

عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَوْفٍ الشَّيْبَانِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما، يَقُولُ: «لَقَدْ عِشْنَا بُرْهَةً مِنْ دَهْرِنَا وَإِنَّ أَحْدَثَنَا يُؤْتَى الْإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ، وَتَنْزِلُ السُّورَةُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَتَعَلَّمُ حَلَالَهَا وَحَرَامَهَا، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُوقَفَ عِنْدَهُ فِيهَا كَمَا تَعْلَمُونَ أَنْتُمُ الْقُرْآنَ»، ثُمَّ قَالَ: «لَقَدْ رَأَيْتُ رِجَالًا يُؤْتَى أَحَدُهُمُ الْقُرْآنَ فَيَقْرَأُ مَا بَيْنَ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ مَا يَدْرِي مَا أَمْرُهُ وَلَا زَاجِرُهُ، وَلَا مَا يَنْبَغِي أَنْ يُوقَفَ عِنْدَهُ مِنْهُ يَنْثُرُهُ نَثْرَ الدَّقَلِ».

أخرجه الحاكم (١٠١)، وصححه، ووافقه الذهبي.

وقال ابن منده: «هذا إسناد صحيح على رسم مسلم والجماعة؛ إلا البخاري».

وهو موقوف له حكم المرفوع.

الحديث الرابع عشر

عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ، «فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا».

أخرجه ابن ماجه (٦١)، وصححه الألباني.

قوله: حزاورة، قال السندي: جمع الحَزْوَر، بفتح الحاء المهملة، وسكون زاي معجمة، وفتح واو، ثم راء، ويقال له: الحزوَّر -بتشديد الواو- وهو الغلام إذا اشتد وقوي وحَزُم. كذا في «الصحاح».

وفي النهاية: هو الذي قارب البلوغ قوله: «(فازددنا به) أي بسبب القرآن» انتهى، من حاشية السند(١ / ٣١).

كيفية تعلم الإيمان قبل القرآن؛ المقصود به: التربية على أصول الإيمان، وتعلم معانيه، تعلما عمليا من النبي ﷺ، وأحواله، وأفعاله، وتلقيا من سنته، وتعليمه لهم، وتأديبه إياهم بأدب الدين؛ فيتحصل لهم معرفة بمعاني القرآن، الذي يتعلمون ألفاظه بعد ذلك، وتربية على أحوال النبي ﷺ، وتأدب بأدبه الشريف، وهو كله من أدب القرآن، وخلقه؛ فيحصل لهم علم مجمل بمعاني القرآن، قبل أن يحصل لهم، أو لمن شاء الله منهم: العلم المفصل بتعلم حروفه وكلماته.



وقد لخّص هذا الحال؛ ابن عمر رضي الله عنه لّما قال:«لَقَدْ عِشْنَا بُرْهَةً مِنْ دَهْرِنَا وَإِنَّ أَحْدَثَنَا يُؤْتَى الْإِيمَانَ قَبلَ الْقُرْآنِ، وَتَنْزِلُ السُّورَةُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَتَعَلَّمُ حَلَالَهَا وَحَرَامَهَا، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُوقَفَ عِنْدَهُ فِيهَا كَمَا تَعْلَمُونَ أَنْتُمُ الْقُرْآنَ، ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رِجَالًا يُؤْتَى أَحَدُهُمُ الْقُرْآنَ فَيَقْرَأُ مَا بَيْنَ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ مَا يَدْرِي مَا أَمْرُهُ وَلَا زَاجِرُهُ، وَلَا مَا يَنْبَغِي أَنْ يُوقَفَ عِنْدَهُ مِنْهُ يَنْثُرُهُ نَثْرَ الدَّقَلِ» رواه الحاكم في «المستدرك»(١ / ٣٥)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَا أَعْرِفُ لَهُ عِلَّةً»، ووافقه الذهبي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

والله سبحانه هو رب كل شيء ومليكه وهو معلم كل علم وواهبه فكما أن نفسه أصل لكل شيء موجود؛ فذكره والعلم به: أصل لكل علم، وذكره في القلب.

والقرآن يعطي العلم المفصل، فيزيد الإيمان، كما قال«جندب بن عبد الله البجلي» وغيره من الصحابة:«تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيمانا» «انتهى، من مجموع الفتاوى» (٤/ ٣٨).

وقال أيضا:

«التفريغ والتخلية التي جاء بها الرسول أن يفرغ قلبه مما لا يحبه الله ويملأه بما يحبه الله، فيفرغه من عبادة غير الله ويملؤه بعبادة الله وكذلك



يفرغه عن محبة غير الله ويملؤه بمحبة الله وكذلك يخرج عنه خوف غير الله ويدخل فيه خوف الله تعالى، وينفي عنه التوكل على غير الله ويثبت فيه التوكل على الله. وهذا هو الإسلام المتضمن للإيمان الذي يمده القرآن ويقويه لا يناقضه وينافيه كما قال جندب وابن عمر: «تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيمانا» انتهى من «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٤٠١).

وقال أيضا:

«الصحابة أخذوا عن الرسول لفظَ القرآن ومعناه، بل كانوا يأخذون عنه المعاني مجردةً عن ألفاظِه بألفاظٍ أُخَر، كما قال جُندب بن عبد الله البَجَلي وعبد الله بن عمر: تعلَّمنا الإيمانَ ثم تعلَّمنا القرآن، فازددنا إيمانًا. فكان يُعلِّمهم الإيمانَ، وهو المعاني التي نزل بها القرآن من المأمور به والمخبَر عنه المتلقَّى بالطاعة والتصديق، وهذا حق، فإن حفاظ القرآن كانوا أقلَّ من عموم المؤمنين» انتهى، من «جواب الاعتراضات المصرية».

وتعلّم الصحابة للإيمان قبل استكثارهم من الحفظ، ساهم فيه أنّ أسس الإيمان مبثوثة في سور المفصّل؛ ولذا سمى ابن مسعود رضي الله عنه سور المفصّل بلباب القرآن.

فعن عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ الله عَنْهَا، قالت: «إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ الْمُفَصَّلِ، فِيهَا ذِكْرُ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى



الإِسْلاَمِ، نَزَلَ الحَلاَلُ وَالحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ: لاَ تَشْرَبُوا الخَمْرَ، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ: لاَ تَزْنُوا، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا، لَقَدْ نَزَلَ بِمَكَّةَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾ وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ البَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ»رواه البخاري (٤٩٩٣).

فالحاصل؛ أنّ الإيمان قبل القرآن؛ يتحصّل بأن يربّي المؤمن نفسه على العقائد والشرائع التي جاء بها القرآن؛ ويأخذ ذلك بعزيمة وقوة؛ فإذا شرع بعد ذلك في الإستكثار من حفظ آيات القرآن؛ حفظه وهو يشعر أنه مخاطب بها؛ فيتمعن ويتدبر فيما يحفظ ويخاف أن يكون حجة عليه فيسارع للامتثال بما حفظ.

الحذر من المسارعة في حفظ القرآن الكريم دون فهمه وتفسيره

الحديث الخامس عشر

عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، أَنَّ أَبَا إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيَّ عَائِذَ اللهِ، أَخْبَرَهُ أَنَّ يَزِيدَ بْنَ عُمَيْرَةَ - وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - أَخْبَرَهُ قَالَ: كَانَ لَا يَجْلِسُ مَجْلِسًا لِلذِّكْرِ حِينَ يَجْلِسُ إِلَّا قَالَ: «اللهُ حَكَمٌ قِسْطٌ هَلَكَ الْمُرْتَابُونَ»، فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ يَوْمًا: «إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ فِتَنًا يَكْثُرُ فِيهَا الْمَالُ، وَيُفْتَحُ فِيهَا الْقُرْآنُ حَتَّى يَأْخُذَهُ الْمُؤْمِنُ وَالْمُنَافِقُ، وَالرَّجُلُ، وَالْمَرْأَةُ، وَالصَّغِيرُ، وَالْكَبِيرُ، وَالْعَبْدُ، وَالْحُرُّ، فَيُوشِكُ قَائِلٌ أَنْ يَقُولَ: مَا لِلنَّاسِ لَا يَتَّبِعُونِي وَقَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ؟ مَا هُمْ بِمُتَّبِعِيَّ حَتَّى أَبْتَدِعَ لَهُمْ غَيْرَهُ، فَإِيَّاكُمْ وَمَا ابْتُدِعَ، فَإِنَّ مَا ابْتُدِعَ ضَلَالَةٌ، وَأُحَذِّرُكُمْ زَيْغَةَ الْحَكِيمِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الضَّلَالَةِ عَلَى لِسَانِ الْحَكِيمِ، وَقَدْ يَقُولُ الْمُنَافِقُ كَلِمَةَ الْحَقِّ»، قَالَ: قُلْتُ لِمُعَاذٍ: مَا يُدْرِينِي رَحِمَكَ اللهُ أَنَّ الْحَكِيمَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الضَّلَالَةِ وَأَنَّ الْمُنَافِقَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الْحَقِّ؟ قَالَ: «بَلَى، اجْتَنِبْ مِنْ كَلَامِ الْحَكِيمِ الْمُشْتَهِرَاتِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا مَا هَذِهِ، وَلَا يُثْنِيَنَّكَ ذَلِكَ عَنْهُ، فَإِنَّهُ لَعَلَّهُ أَنْ يُرَاجِعَ، وَتَلَقَّ الْحَقَّ إِذَا سَمِعْتَهُ فَإِنَّ عَلَى الْحَقِّ نُورًا».

أخرجه أبو داود (٤٦١١)، وصححه الألباني.

الجزء الأول منه له حكم المرفوع.



وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قدم على عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) رجل، فجعل عمر يسأله عن الناس. فقال: يا أمير المؤمنين قرأ منهم القرآن كذا وكذا. فقال ابن عباس: والله ما أحب أن يسارعوا يومهم هذا في القرآن هذه المسارعة. قال: فزبرني عمر، ثم قال: مه؟! قال ابن عباس: فانطلقت إلى منزلي مكتئبا حزينا. فقلت: قد كنت نزلت من هذا الرجل بمنزلة ما أرى إلا أني قد سقطت من نفسه. قال: فرجعت إلى منزلي فاضطجعت على فراشي، حتى عادني نسوة من أهلي، وما بي من وجع. وما هو إلا الذي تقبّلني به عمر. قال: فبينا أنا كذلك، إذ أتاني رجل، فقال: أجب أمير المؤمنين. قال: فخرجت، فإذا هو قائم قريبا ينتظرني، فأخذ بيدي، ثم خلا بي، فقال: ما كرهتَ مما قال الرجل. قال: قلت: يا أمير المؤمنين، إن كنتُ أسأتُ فأستغفر الله عز وجل وأتوب إليه، فأنزلُ حيث أحببتَ. قال: لتحدثنّي ما الذي كرهتَ مما قال الرجل؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، إنهم متى ما يسارعوا هذه المسارعة يَحْتَقُّوا، ومتى يَحْتَقُّوا يختلفوا، ومتى يختلفوا يقتتلوا. فقال عمر: لله أبوك! والله لقد كنت أكاتمها الناس حتى جئت بها».

هذا أثر صحيح: أخرجه معمر في الجامع، والفسوي في المعرفة والتاريخ، وغيرهما، بإسناد صحيح.

ومعنى يَحْتَقُّوا: يزعم كل واحد منهم أنه هو الذي معه الحق، كذا فسره الأزهري في تهذيب اللغة (٣/ ٣٧٨)، والهروي في الغريبين، وابن الأثير في النهاية، وغيرهم. وقد تصحفت في كثير من المصادر إلى (يختلفوا)، لغرابة لفظها.

وأما معنى المسارعة في قراءة القرآن: فالمقصود بها المسارعة في حفظه؛ لأنه ليس مما يُتناقل ويُحكى على وجه الفرح والإعجاب ذكر كثرة من أسرع في قراءة القرآن، وإنما المقصود في الخبر: ذكر إقبال الناس على حفظ القرآن في وقت قصير.

ولو كان المقصود هو مجرد إتقان قراءة القرآن، وتنافس الناس على ذلك، دون فقه فيه، وليس حفظه، فهو في معنى حفظه بغير فقه فيما سوف نستخلصه من فوائد.

وفي هذا الأثر من الفوائد العجيبة ما يلي:

١- أن حفظ القرآن بغير فقه فيه خطر على الحافظ قبل غيره.

وهذا ما حصل للخوراج؛ لأنه سوف يفهمه على غير وجهه، وما دام يستدل على فهمه بالقرآن فإنه لن يَرِدَ عنده احتمالُ خطأ استدلاله، فيقطع بأن فهمه هو دلالة القرآن، حتى عندما تكون دلالة القرآن مخالفة لاستدلاله كل المخالفة.



وليس المقصود بالفقه انحصاره في معرفة الأحكام الشرعية، ولكن ما هو أوسع من ذلك: من إيمانيات القرآن وعقائده وتزكيته للنفوس وأخلاقه وآدابه وأحكامه، يُتدرج فيها بحسب قدرة المتعلم بالنسبة لعمره وبالنسبة لاستطاعته الذهنية ومنزلته الإيمانية.

وقد أورد الإمام مالك في الموطأ أثرا غير متصل الإسناد، يرويه عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) أنه قال: «إنك في زمان كثير فقهاؤه، قليل قراؤه، تُحفظ فيه حدودُ القرآن، وتُضيَّع حروفه، قليل من يَسأل، كثير من يُعطي، يطيلون فيه الصلاة، ويقصِّرون الخطبة، يبدون أعمالهم قبل أهوائهم. وسيأتي على الناس زمان قليل فقهاؤه، كثير قراؤه، يحفظ فيه حروف القرآن، وتضيع حدوده...»، الأثر.

والمقصود: بقلة القراء في زمن الصحابة: قلة من حفظه بلا فقه، والمقصود بتضييع حروفه في زمنهم: كثرة من عمل به بلا حفظ. فحفاظه مع الفقه فيه كثيرون، ولكن العاملين به بلا حفظ هم الأكثر.

وقد قال القنازعي (ت٤١٣هـ) في كتابه (تفسير الموطأ): يعني: أنهم يتحفظون القرآن ويتفقهون فيما حفظوا منه، فمنعهم تعلمهم للفقه من كثرة القراءة بغير تفقه، ويشغلهم حفظ حدود القرآن عن حفظ حروفه.



وقوله: (قليل من يسأل كثير من يعطي) يعني: أن المعلم كان أحرص على تعلم المتعلم من المتعلم على التعليم.

وقوله: (يبدون فيه أعمالهم قبل أهوائهم) يعني: يبدون فيه الحق بما افترض عليهم قبل اتباعهم لأهوائهم التي تقصر بهم عن الطاعات واكتساب الحسنات.

ثم وصف صفة من يأتي آخر الزمان: أن قراءهم كثير، وفقهاءهم قليل، والعالم مفتون متبع لهواه، يكثر خطيبهم المواعظ في خطبته، ويطولها قبل من ينتفع بها منهم، ويقصرون الصلاة، بخلاف فعل السلف الصالح.

ولم يقل هذا ابن مسعود إلا وقد سمعه من النبي - ﷺ -، والله أعلم.

وقال ابن عبد البر في الاستذكار في شرحه لهذا الأثر: فإن هذا الحديث قد روي عن ابن مسعود من وجوه متصلة حسان متواترة.

وفيه من الفقه:

مدح زمانه لكثرة الفقهاء فيه، وقلة القراء. وزمانه هذا هو القرن الممدوح على لسان النبي ﷺ.



وفيه دليل على أن كثرة القراء للقرآن دليل على تغير الزمان، وذمه لذلك، وقد روي عن النبي ﷺ: «أكثر منافقي أمتي قراؤها»، من حديث عقبة بن عامر وغيره.

وقال مالك (رحمه الله): «قد يقرأ القرآن من لا خير فيه»، والعيان في هذا الزمان على صحة معنى هذا الحديث كالبرهان.

لو قال هذا الكلام غير ابن مسعود، ولو استخرج هذه الفوائد غير ابن عبد البر، ماذا سيُقال عنهما!

وقال إمام من أكابر أئمة التابعين وهو الحسن البصري (ت١١٠هـ): إن هذا القرآن قد قرأه عبيدٌ وصبيانٌ لا علم لهم بتأويله، ولم يأتوا الأمر من قِبَل أوله، [إن أحق الناس بهذا القرآن من رُئي في عمله] وفي رواية: [وإن أولى الناس بهذا القرآن من اتبعه وعمل به، وإن لم يكن يقرؤه]، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾، وما تَدبُّر آياته إلا اتّباعه بعلمه، أما - والله - ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: لقد قرأت القرآن كله فما أسقطت منه حرفا، وقد والله أسقطه كله، ما يُرى له القرآنُ في خُلق ولا عمل، حتى إن أحدهم ليقول: إني لأقرأ السورة في نَفَس واحد، والله ما هؤلاء بالقراء، ولا العلماء، ولا الحكماء، ولا الورعة، ومتى كانت القراء مثل هذا؟ لا كثر الله في الناس مثل هؤلاء.

أخرجه عبد الله بن المبارك في الزهد (رقم ٧٩٣)، وفي رواية نعيم بن حماد (رقم ٩٧٨)، والفريابي في فضائل القرآن، والآجري في أخلاق حملة القرآن، بإسناد حسن، فراويه عن الحسن هو يحيى بن المختار الصنعاني قال عنه ابن معين في سؤالات ابن الجنيد: «ليس به بأس»، وهو من رجال النسائي في سننه.

وتوبع من عمرو بن قيس المُلائي، والصلت بن بهرام، وهما صدوقان، ورجل مبهم رواه عنه أيوب السختياني، وهو ما يصحح الأثر عن الحسن البصري.

فانظر: المصنف لعبد الرزاق (رقم ٦٠٦٣)، وفضائل القرآن لأبي عبيد (رقم ٣٧١)، والسنن لسعيد بن منصور - تحقيق د. سعد الحميد - (رقم ١٣٥)، والجامع لشعب الإيمان للبيهقي (رقم ٢٤٠٨)، واقتضاء العلم العمل للخطيب (رقم ١٠٨).

وهنا يذم الإمام الحسن البصري حفظ الصبيان للقرآن بغير تعلم آدابه وأخلاقه وما يمكنهم من أحكامه.

وانظروا إلى قوله: «لقد قرأت القرآن كله فما أسقطت منه حرفا، وقد والله أسقطه كله، ما يُرى له القرآنُ في خُلق ولا عمل»، كأنه يصف زماننا!!



وقد سُئل الإمام مالك عن صبي ابن سبع سنين جمع القرآن، فقال: «ما أرى هذا ينبغي».

قال الإمام أبو بكر الأبهري (ت٣٧٥هـ) في شرحه لهذا الجواب من الإمام مالك: «إنما كرهه مالك؛ لأنه إذا تعلمه على هذه السرعة لم يُحكم أخذه، ويعرف حدوده، وسبيل من تعلم القرآن: أن يتعلمه، ويتبين أحكامه وحدوده، حسب طاقته، والصبي لا يمكنه هذا في الأغلب. وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يبقون في السورة الطويلة يتعلمونها، ويتبينون ما فيها من الأحكام». شرح الجامع لابن عبد الحكم (١٥٩-١٦٠). فهو يرى أن لا يُشغل الصبي بحفظ القرآن، لكي لا يحفظه بلا فقه!

وهذا الإمام المالكي أبو بكر الطُّرطوشي (ت٥٢٠هـ) يعد حفظ القرآن بلا فقه من البدع المنكرة، حيث قال في تعداده للبدع: «ومما ابتدعه الناس في القرآن: الاقتصار على حفظ حروفه؛ دون التفقه فيه». الحوادث والبدع للطرطوشي (٩٦).

وقال أيضا في شرحه كراهية مالك حفظ الصغير: «وإنما وجه إنكاره ما تقرر في الصحابة من كراهة التسرع في حفظ القرآن دون التفقه فيه». الحوادث والبدع (٩٨).



فأخذ هذا الفقيه الشافعي أبو العباس ابن رسلان (ت٨٤٤هـ) في شرحه لموقف الإمام مالك، فقال:«ووجه إنكاره: ما تقرر في الصحابة من كراهة الشرع حفظ القرآن دون التفقه فيه». شرح سنن أبي داود (١٨/ ١٠٩).

فالمتقرر عند الطرطوشي وابن رسلان أن الصحابة (رضي الله عنهم) كانوا يكرهون حفظ القرآن بلا فقه، ولو كان الحافظ صبيا.

وقال الإمام مالك:«كُتب إلى عمر بن الخطاب من العراق، يخبرونه أن رجالا قد جمعوا كتاب الله [أي: حفظوه]، فكتب لهم عمر: أن افرض لهم في الديوان وأعطهم. قال: فكثر من يطلب القرآن، فكتب إليه من قابل: إنه قد جمع القرآن سبعمائة رجل. قال عمر: إني لأخشى أن يُسرعوا في القرآن، قبل أن يتفقهوا في الدين، فكتب أن دعهم لا تعطهم شيئا».

فيبدو أن عمر (رضي الله عنه) قد رأى ما حذر منه ابن عباس، بعد أن كان مجرد توقع منه وحدس بُني على معرفة تامة بخطر الخطأ في مناهج التعليم وسوء أثر الحماسة الدينية فيه بغير توجيه سليم.

٢- أن الحفظ بلا فقه ليس علما، ولو كان المحفوظُ أشرفَ محفوظ: كتابَ الله تعالى: مجمع العلم ومعدن الحكمة وينبوع الخير ودستور الفضيلة. هذا هو موقف عمر بن الخطاب وابن عباس، في زمن كانت



فيه لغة عموم العرب حجة، فلن يؤتوا في سوء الفهم من جهة نقص المعرفة باللغة.

بل هذا هو المنهج النبوي: ففي حديث جندب بن عبد الله (رضي الله عنه):«كنا مع النبي - ﷺ - ونحن فتيان حزاورة، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن، فازددنا به إيمانا». أخرجه ابن ماجه وهو صحيح.

وقال عبد الله عمر (رضي الله عنهما):«لقد لبثنا برهة من دهر، وأحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن، تنزل السورة على محمد ﷺ فنتعلم حلالها وحرامها، وأمرها وزاجرها، وما ينبغي أن يوقف عنده منها، كما تتعلمون أنتم اليوم القرآن. ولقد رأيت رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان، يقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته، ما يعرف حلاله ولا حرامه، ولا أمره ولا زاجره، ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه وينثره نثر الدقل»، أخرجه ابن منده والحاكم وصححاه، وهو كما قالا.

وجاء عن حذيفة بن اليمان (رضي الله عنه) من وجهين يقوي أحدهما الآخر:«إنا قوم أوتينا الإيمان قبل أن نؤتى القرآن، وإنكم قوم أوتيتم القرآن قبل أن تؤتوا الإيمان».

وصح عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قارئ الصحابة وفقيههم أنه قال:«كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن».

وثبت عن التابعي الجليل المقرئ أبي عبد الرحمن السلمي: (حدثنا من كان يقرئُنا من أصحاب النبي ﷺ أنهم كانوا يقترئون من رسول الله ﷺ عشر آيات فلا يأخذون العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل وقالوا: فعلمنا العلم والعمل).

وقد تحقق ما خشيه عمر بن الخطاب وابن عباس (رضي الله عنهما) في الخوارج: فقد كانوا عربا أقحاحا، بل كانوا من فصحاء العرب. وكانوا يكثرون من قراءة القرآن إكثارا يحقر معه الصحابة قراءتهم مع قراءتهم، ومع ذلك ضلوا بالقرآن؛ لأنهم لم يتلقوه كما تلقاه الصحابة: حروفا ومعاني، تلاوة وفقها، علما وعملا.

وللأسف ما زالت الأمة تعلم القرآن الكريم على منهج الخوارج! حفظا بلا فقه، ثم نتساءل: لماذا وُجدت الانحرافات والفهوم الضالة؟!

لو أشغلنا الطلاب بتزكية القرآن للنفوس، بأخلاق القرآن وآدابه، ثم حُفظوا القرآن، أو من القرآن، لكان هذا خيرا مما استنناه من سنةٍ تخالف سنة رسول الله (ﷺ) في تعليم القرآن وسنة أصحابه من بعده وفقهاء السلف.

٣- أن المسارعة إلى حفظ القرآن دون فقه قد تُعجب قليل الفقه قصير النظر، لكن الفقيه وبعيد النظر يدرك خطورته.

٤- أن من أسباب الاختلاف المذموم والفُرقة بين المسلمين ادعاء اليقين في غير موطنه، الناتج عن جهل الاستدلال بالقرآن الكريم.

وفي حديث علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول:«تخرج خارجة من أمتي، ليس صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، ولا قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، يقرؤون القرآن، يحسبون أنه لهم، وهو عليهم، لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية». أخرجه أحمد ومسلم في صحيحه.

٥- من أعظم أسباب الاختلاف المذموم: الجهل بمراتب الدلالات، وأن منها اليقيني والظني، فلو أن الجهلاء (كالخوارج والتكفيريين والغلاة المتطرفين) تركوا ادعاء أنهم ممتلكون للحق في غير موضعه، فلم يَحْتَقُّوا -كما جاء في الأثر -لما أدى الاختلاف إلى تنازع واقتتال.

وما زلنا نرى هذا الداء هو أكثر الأدواء التي تصيب كثيرا ممن يسمون أنفسهم طلبة العلم: تجد كثيرا منهم يجزم بقول، ويقيم عليه الولاء والبراء، وهو أقصى ما يبلغه أن يكون ظنا راجحا، لا يجوز القطع



به ولا الإنكار على من خالفه من أهل العلم. بل ما أكثر ما قطعوا على باطل مقطوع ببطلانه، وهم يحسبون أنهم هم المُحِقّون!!

٦- أن صاحب الفقه والنظر الثاقب قد يرى الشر فيما يراه غيره من الخير.

٧- أن صاحب الفقه والنظر البعيد والحدس القوي قد يتوقع أمرا، ولكنه يخشى إبداءه؛ لأنه يخشى خطأه فيه، خاصة إذا كان في أمر يراه عموم الناس خيرا عظيما، وهو يدرك بفقهه وبُعد نظره أنه ليس خيرا. فربما سكت عن ذكر توقعاته، خشية الخطأ، وخشية أن يسيء الناس فيه الظن.

ولكم سكتنا عن الغلو في حفظ القرآن الكريم بلا فقه القرآن ولا أدب القرآن، مع أننا غير معذورين في سكوتنا؛ لأننا رأينا آثار منهج الحفظ بلا فقه، منذ ظهور الخوارج، حتى اليوم.

٨- أن صاحب الفقه والنظر البعيد لا يجوز له السكوت عما يراه من الخطر المتوقع؛ مجاملة لعموم الناس؛ لأنه من الطبيعي أن يكون الفقهاء بعيدو النظر هم أقل الناس، بل هم أقل القليل. فإذا سكت هؤلاء مجاملة للعموم، فمتى ينفعون أمتهم بما تميزوا به من فقه وبعد نظر. وهذا ما فعله ابن عباس (رضي الله عنهما)، عندما صدع بقناعاته، رغم مخالفتها للظاهر الذي يغتر به عموم الناس.



سيقولون: لما تزهد في حفظ القرآن؟! وسأقول: من فهم من كلامي هذا فالمشكلة في فهمه، لا في كلامي؛ لأني إنما أزهِّد في حفظ القرآن بغير فقه، وهو أمر قد عاب الله تعالى به اليهود عندما قال تعالى عنهم ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾، أي: إلا تلاوة (على قول). وإنما أزهِّد في خلاف المنهج النبوي ومنهج السلف الصالح في تعليم القرآن. فكان يجب أن تسألوا أنتم أنفسكم:

- لماذا تزهدون أنتم في المنهج النبوي والسلفي في تحفيظ القرآن؟!

- لماذا لا تعتبرون بالخوارج قديما وحديثا ممن حفظوا القرآن، وكان حفظهم له بلا فقه فتنة لهم وشرا على المسلمين.

- لماذا لا توافقون عمر بن الخطاب في رجوعه إلى عمق فقه ابن عباس وبُعد نظره، لما حذره من تسارع الناس في ذلك الزمن إلى حفظ القرآن دون فقه، مع أنهم في ذلك الزمن لن يصلوا في عدم الفهم ما يصل إليه المسلمون اليوم: لمتانة اللغة، وكثرة الفقهاء والمعلمين.

وعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه:

أنه مر بقوم يقرأون القرآن، فقال: لا يغرنك هؤلاء؛ إنهم يقرأون القرآن اليوم، ويتجادلون بالسيوف غداً!



ثم قال: ائتني بنفر من قراء القرآن، وليكونوا شيوخاً، فأتيته بنافع بن الأزرق، ومرداس بن أبي بلال، وبنفر معهما ستة أو ثمانية، فلما أن دخلنا على جندب، قال: إني سمعت رسول الله - ﷺ -... فذكر مثل من يعلم الناس الخير)، قال:«ومن رايا الناس بعلمه؛ رايا الله به يوم القيامة، ومن سمع الناس بعمله؛ سمع الله به؛ فاعلموا أن أول ما ينتن...»الحديث مثل رواية البخاري.

أخرجه الطبراني (٢/ ١٧٩١٨٠/ ١٦٨٥)، وحسنه الألباني.

وجوب تدبر القرآن وفهم تفسيره ومعانيه

الحديث السادس عشر

عَنْ عَطَاءٍ، قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ، عَلَى عَائِشَةَ رضي الله عنها، فَقَالَتْ لِعُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ: قَدْ آنَ لَكَ أَنْ تَزُورَنَا، فقَالَ: أَقُولُ يَا أُمَّهْ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ: زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا، قَالَ: فَقَالَتْ: دَعُونَا مِنْ رَطَانَتِكُمْ هَذِهِ، قَالَ ابْنُ عُمَيْرٍ: أَخْبِرِينَا بِأَعْجَبِ شَيْءٍ رَأَيْتِهِ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، قَالَ: فَسَكَتَتْ ثُمَّ قَالَتْ: لَمَّا كَانَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي، قَالَ: «يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي» قُلْتُ: وَالله إِنِّي لَأُحِبُّ قُرْبَكَ، وَأُحِبُّ مَا سَرَّكَ، قَالَتْ: فَقَامَ فَتَطَهَّرَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ حِجْرَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ لِحْيَتَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ الْأَرْضَ، فَجَاءَ بِلَالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلَاةِ، فَلَمَّا رَآهُ يَبْكِي، قَالَ: يَا رَسُولَ الله، لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ الله لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ؟، قَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا، لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ، وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾» الْآيَةَ كُلَّهَا [آل عمران: ١٩٠].

أخرجه ابن حبان (٦٢٠)، وصححه الألباني.

الحديث السابع عشر

عَنْ يُسَيْرِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: سَأَلْتُ سَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ رضي الله عنه، هَلْ سَمِعْتَ النَّبِيَّ ﷺ يَذْكُرُ الْخَوَارِجَ، فَقَالَ: سَمِعْتُهُ وَأَشَارَ بِيَدِهِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ «قَوْمٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ بِأَلْسِنَتِهِمْ لَا يَعْدُو تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ، كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ».

أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٠٦٠).

سوء الفهم للقرآن: فهم يكثرون من قراءة القرآن والاستدلال به، لكن دون فقه وعلم، بل يضعون آياته في غير موضعها، ولهذا جاء وصفهم في الأحاديث: (يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ)، (يَتْلُونَ كِتَابَ الله رَطْبًا، لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ)، (يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ).

قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم: «لَيْسَ حَظّهمْ مِنْ الْقُرْآن إِلَّا مُرُوره عَلَى اللِّسَان، فَلَا يُجَاوِز تَرَاقِيهمْ لِيَصِل قُلُوبهمْ وَلَيْسَ ذَلِكَ هُوَ الْمَطْلُوب بَلْ الْمَطْلُوب: تَعَلُّقه، وَتَدَبُّره بِوُقُوعِهِ فِي الْقَلْب».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وَكَانَتْ الْبِدَعُ الْأُولَى مِثْلُ بِدْعَةِ الْخَوَارِجِ إنَّمَا هِيَ مِنْ سُوءِ فَهْمِهِمْ لِلْقُرْآنِ، لَمْ يَقْصِدُوا مُعَارَضَتَهُ، لَكِنْ فَهِمُوا مِنْهُ مَا لَمْ يَدُلَّ عَلَيْهِ».

مجموع الفتاوى.




ولذلك قال فيهم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «انْطَلَقُوا إِلَى آيَاتٍ نَزَلَتْ فِي الكُفَّارِ، فَجَعَلُوهَا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ» ذكره البخاري تعليقاً.

قال ابن حجر: «كَانَ يُقَالُ لَهُمُ الْقُرَّاءُ لِشِدَّةِ اجْتِهَادِهِمْ فِي التِّلَاوَةِ وَالْعِبَادَةِ إِلَّا أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَأَوَّلُونَ الْقُرْآنَ عَلَى غَيْرِ الْمُرَادِ مِنْهُ، وَيَسْتَبِدُّونَ بِرَأْيِهِمْ، وَيَتَنَطَّعُونَ فِي الزُّهْدِ وَالْخُشُوعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ».

فتح الباري لابن حجر.

عدم الغلو والجفاء في القرآن الكريم

الحديث الثامن عشر

عَنْ أَبِى مُوسَى الأَشْعَرِي رضي الله عنه، قَالَ قَالَ رَسُولُ الله -ﷺ- «إِنَّ مِنْ إِجْلاَلِ الله إِكْرَامَ ذِى الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِى فِيهِ وَالْجَافِى عَنْهُ وَإِكْرَامَ ذِى السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ».

أخرجه أبوداود (٤٨٤٥)، وحسنه الألباني.

(إن من إجلال الله) أي تعظيمه وتبجيله أي من إجلال الله إياكم. (إكرام ذي الشيبة المسلم) أي أنه تعالى يكرمه فيغفر له ويعظم شأنه ويعلمكم أنه يكرمه أو من إجلالكم الله تعالى أن تكرموا ذا الشيبة المسلم فتعظيمكم إياه وتوقيره إجلال لله تعالى فإنه يحتمل الإضافة إلى الفاعل والمفعول. (وحامل القرآن غير الغالي فيه) أي ومن إكرام قارئ القرآن الذي لا يتجاوز الحد في العمل به والتتبع لما خفي واشتبه من معانيه والمبالغة في إخراج حروفه حتى يخرجها عن قالبها (وغير الجافي عنه) أي التارك له البعيد عن معاودة تلاوته والعمل بما فيه (وإكرام ذي السلطان) أي السلطان لأنه ذو قهر وغلبة وقيل ذو الحجة لأنها تقام به الحجج (المقسط) أي العادل ففي الحديث إرشاد بإكرام من ذكر على الوجهين.

التنوير شرح الجامع الصغير (٤/ ١١٥).



(غير الغالي فيه ولا الجافي عنه) قيل: الغالي من يبذل جهده في تجويد قراءته من غير تفكر وتدبر وعمل بما فيه، أو المسرع في القراءة فحسب لا يصحح حروفه، والجافي عنه: المعرض عن تلاوته وعمله، من التجافي بمعنى التباعد. في (الصحاح): تجافى عن الفراش أي: تباعد، ومنه قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦]، وفي (القاموس): تجافى: لم يلزم مكانه، وقيل: الغالي: من تجاوز الحد من حيث لفظه أو معناه بتأويل باطل، والجافي عنه: المتباعد عن العمل به، ويجوز أن يقال: الغالي من اشتغل بتلاوته ولا يشتغل أصلًا، بتعلم الفقه وسائر العبادات، والجافي الذي لا يشتغل بالقرآن أصلًا، وهو قريب من المعنى الأول.

لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٢٥٤).

(إن من إجلال الله) أي تبجيله وتعظيم (إكرام ذي الشيبة المسلم) أي تعظيم الشيخ الكبير في الإسلام بتوقيره في المجالس والرفق به والشفقة عليه ونحو ذلك كل هذا من كمال تعظيم الله لحرمته عند الله (وحامل القرآن) أي حافظه سماه حاملاً له لما تحمل لمشاق كثيرة تزيد على الأحمال الثقيلة (غير الغالي فيه) بغين معجمة أي غير المتجاوز الحد في العمل به وتتبع ما خفي منه واشتبه عليه من معانيه وفي حدود قراءته ومخارج حروفه (والجافي عنه) قال العلمقي أي التارك له البعيد عن

تلاوته والعمل بما فيه فإن هذا من الجفا وهو البعد عن الشيء وجفاه إذا بعد عنه وقال في النهاية إنما قال ذلك لأن من أخلاقه التي أمر بها القصد في الأمور والغلو التشديد في الدين ومجاوزة الحد والتجافي البعد عنه أي عن الدين اهـ قلت لا سيما من أعرض عنه بكثرة النوم والبطالة والإقبال على الدنيا والشهوات بل ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بقيام ليله إذا الناس نيام وببكائه إذا الناس يضحكون وبصمته إذا الناس يخوضون وما أقبح بحامل القرآن أن يتلفظ بأحكامه ولا يعمل به فهو كمثل الحمار يحمل أسفاراً (وإكرام ذي السلطان المقسط) بضم الميم أي العادل في حكمه بين رعيته.

السراج المنير شرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير (٢/ ١٣٧).

فضل الصوت الحسن بالقرآن الكريم

الحديث التاسع عشر

عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَا أَذِنَ الله لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ بِالقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ».

أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٥٤٤).

قَالَ العلامة ابن بَطَّالٍ - رحمه الله تعالى -:

«الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: «زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ الْمَدُّ وَالتَّرْتِيلُ وَالْمَهَارَةُ فِي الْقُرْآنِ جَوْدَةُ التِّلَاوَةِ بِجَوْدَةِ الْحِفْظِ فَلَا يَتَلَعْثَمُ وَلَا يَتَشَكَّكُ وَتَكُونُ قِرَاءَتُهُ سَهْلَةً بِتَيْسِيرِ الله تَعَالَى كَمَا يَسَّرَهُ عَلَى الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ؛ قَالَ: وَلَعَلَّ الْبُخَارِيَّ أَشَارَ بِأَحَادِيث هَذَا الْبَابِ إِلَى أَنَّ الْمَاهِرَ بِالْقُرْآنِ هُوَ الْحَافِظُ لَهُ مَعَ حُسْنِ الصَّوْتِ بِهِ وَالْجَهْرِ بِهِ بِصَوْتٍ مُطْرِبٍ بِحَيْثُ يَلْتَذُّ سَامِعُهُ». انْتَهَى.

وَالَّذِي قَصَدَهُ الْبُخَارِيُّ إِثْبَاتَ كَوْنِ التِّلَاوَةِ فِعْلَ الْعَبْدِ فَإِنَّهَا يَدْخُلُهَا التَّزْيِينُ وَالتَّحْسِينُ وَالتَّطْرِيبُ وَقَدْ يَقَعُ بِأَضْدَادِ ذَلِكَ وَكُلُّ ذَلِكَ دَالٌّ عَلَى الْمُرَاد وَقد أَشَارَ إِلَى ذَلِك ابن الْمُنِيرِ فَقَالَ: ظَنَّ الشَّارِحُ أَنَّ غَرَضَ الْبُخَارِيِّ جَوَازُ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ بِتَحْسِينِ الصَّوْتِ وَلَيْسَ كَذَلِك وَإِنَّمَا غَرَضُهُ الْإِشَارَةُ إِلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ وَصْفِ التِّلَاوَةِ بِالتَّحْسِينِ وَالتَّرْجِيعِ وَالْخَفْضِ وَالرَّفْعِ

وَمُقَارَنَةِ الْأَحْوَالِ الْبَشَرِيَّةِ كَقَوْلِ عَائِشَةَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ فِي حِجْرِي وَأَنَا حَائِضٌ فَكُلُّ ذَلِكَ يُحَقِّقُ أَنَّ التِّلَاوَةَ فِعْلُ الْقَارِئِ وَتَتَّصِفُ بِمَا تَتَّصِفُ بِهِ الْأَفْعَالُ وَيَتَعَلَّقُ بِالظُّرُوفِ الزَّمَانِيَّةِ وَالْمَكَانِيَّةِ. انْتَهَى. وَيُؤَيِّدُهُ مَا قَالَ فِي كِتَابِ خَلْقِ أَفْعَالِ الْعِبَادِ بَعْدَ أَنْ أَخْرَجَ حَدِيثَ: «زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ». مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ وَعَلَّقَهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا وَذَكَرَ حَدِيثَ أَبِي مُوسَى رَضِيَ الله عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ يَا أَبَا مُوسَى لَقَدْ أُوتِيتَ مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ وَأَخْرَجَهُ مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ بِلَفْظِ سَمِعَ أَبَا مُوسَى يَقْرَأُ فَقَالَ كَأَنَّ هَذَا مِنْ أَصْوَاتِ آلِ دَاوُدَ ثُمَّ قَالَ وَلَا رَيْبَ فِي تَخْلِيقِ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ وَنِدَائِهِمْ لِقَوْلِهِ تَعَالَى وَخلق كل شَيْء ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ عَائِشَةَ الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْحَدِيثَ وَحَدِيثَ أَنَسٍ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قِرَاءَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ كَانَ يَمُدُّ مَدًّا وَحَدِيثَ قُطْبَةَ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَرَأَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نضيد يَمُدُّ بِهَا صَوْتَهُ ثُمَّ قَالَ فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ أَصْوَاتَ الْخَلْقِ وَقِرَاءَتَهُمْ مُخْتَلِفَةٌ بَعْضُهَا أَحْسَنُ مِنْ بَعْضٍ وَأَزْيَنُ وَأَحْلَى وَأَرْتَلُ وَأَمْهَرُ وَأَمَدُّ وَغَيْرُ ذَلِكَ.

فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٥١٩).

التحذير من تعلم المقامات على السلم الموسيقي

الحديث العشرون

عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ زَاذَانَ أَبِي عُمَرَ، عَنْ عُلَيْمٍ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عَلَى سَطْحٍ مَعَنَا رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ يَزِيدُ: لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا عَبْسًا الْغِفَارِيَّ، وَالنَّاسُ يَخْرُجُونَ فِي الطَّاعُونِ، فَقَالَ عَبْسٌ: يَا طَاعُونُ خُذْنِي، ثَلَاثًا يَقُولُهَا، فَقَالَ لَهُ عُلَيْمٌ: لِمَ تَقُولُ هَذَا؟ أَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ فَإِنَّهُ عِنْدَ انْقِطَاعِ عَمَلِهِ، وَلَا يُرَدُّ فَيُسْتَعْتَبَ» فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «بَادِرُوا بِالْمَوْتِ سِتًّا: إِمْرَةَ السُّفَهَاءِ، وَكَثْرَةَ الشُّرَطِ، وَبَيْعَ الْحُكْمِ، وَاسْتِخْفَافًا بِالدَّمِ، وَقَطِيعَةَ الرَّحِمِ، وَنَشْوًا يَتَّخِذُونَ الْقُرْآنَ مَزَامِيرَ يُقَدِّمُونَهُ يُغَنِّيهِمْ، وَإِنْ كَانَ أَقَلَّ مِنْهُمْ فِقْهًا».

أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٦٠٤٠)، وصححه الألباني.

قوله: (ونَشْواً) بفتح النون وسكون المعجمة وقد تفتح ثم همز جمع ناش فاعل من نشأ وهو الغلام أو الحادثة جاوز حد الصغر خصهم لأن غالب حسن الصوت وطراوته وتطريبه لهم. (يتخذون القرآن مزامير) جمع مزمار آلة الزمر أي يتغنون به ويتشدقون ويأتون بنغمات مطربة. (يقدمون أحدهم ليغنيهم) أي في الصلاة التذاذا بصوته لا إقبالاً على ما يجب ولذا قال (وإن كان أقلهم فقهاً) مع أنه منهي عن تقدم غير

الأفقه، وفيه: أن حسن الصوت لا اعتبار به في الإمامة، واعلم أن الأمر بالمبادرة بالأعمال لهذه الأمور لأنها إذا حدثت عسرت معها أعمال الخير أو كان وقوعها سبباً لعدم قبول الأعمال ولأنه يحال بين المرء وبين ما يريده من الخير بسبب هذه الأعمال عقوبة للعباد.

التنوير شرح الجامع الصغير (٤/ ٥٢٨).



النهي عن الخصومة في القرآن الكريم

الحديث الحادي والعشرون

عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَمْرِو بنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَن جَدِّهِ، قَالَ: «سَمِعَ رَسُولُ الله ﷺ قَوْمًا يَتَدَارَؤُونَ فِي الْقُرْآنِ فَقَالَ: إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِهَذَا، ضَرَبُوا كِتَابَ الله بَعْضَهُ بِبَعْضٍ، وَإِنَّمَا نَزَلَ كِتَابُ الله يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَلاَ تُكَذِّبُوا بَعْضَهُ بِبَعْضٍ، فَمَا عَلِمْتُمْ مِنْهُ فَقُولُوهُ، وَمَا جَهِلْتُمْ مِنْهُ فَكِلُوهُ إِلَى عَالِمِهِ».

المصنف لعبد الرزاق الصنعاني - ط التأصيل (٩/ ٨٧).

أخرجه الإمام عبدالرزاق في مصنفه (٢١٢٨٩)، وحسنه الألباني.

(المراء) فيه التدارؤ، وهو أن يروم تكذيب القرآن ليدفع بعضه ببعض، فيطرق إليه قدحاً وطعناً. ومن حق الناظر في القرآن أن يجتهد في التوفيق بين الآيات، والجمع بين المختلفات، ما أمكنه؛ فإن القرآن يصدق بعضه بعضاً، فإن أشكل عليه من ذلك ولم يتيسر له التوفيق فليعتقد أنه من سوء فهمه، وليكل إلى عالمه، وهو الله تعالى ورسوله ﷺ كما قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى الله وَالرَّسُولِ﴾.

قيل: هو المراء في قراءته، وهو أن ينكر بعض القراءات المروية وقد أنزل الله القرآن على سبعة أحرف، فتوعدهم بالكفر لينتهوا عن المراء فيها، والتكذيب بها، إذ كلها قرآن منزل يجب الإيمان به.

قوله: (يتدارءون) التدارء دفع كل من المتخاصمين قول صاحبه بما يقع له من القول، قال الله تعالى: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾. وأشار بهذا إلى التدافع الذي كان بينهم. (ضربوا كتاب الله بعضه ببعض) بيان لاسم الإشارة، والمضاف محذوف، أي بمثل هذا.

مثال ذلك أن أهل السنة يقولون: إن الخير والشر من الله بدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ الله﴾. ويقول القدري: ليس كذلك، بدليل قوله تعالى: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ الله وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ فقد دفع وتأول القدري آية من القرآن بمثلها، وهذا الاختلاف منهي عنه، بل الطريق في الآيات التي بينها تناقض في الظاهر أن يؤخذ ما عليه إجماع المسلمين منها، وتؤول الآية الأخرى على وجه يتفقان فيه، كما نقول: فقد انعقد الإجماع على أن الخير والشر بتقدير الله، وهذا موافق لقوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ الله﴾ لكنه مخالف في الظاهر للآية الأخرى، وفي الحقيقة موافق لها، فإن المفسرين قالوا: إن قوله تعالى: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ﴾ متصل بما قبلها، والمعنى فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً، يعني المنافقون لا يعلمون ما



هو الصواب؛ لأنهم يقولون: ما أصابك من حسنة إلى آخرها. وقيل: الآية مستأنفة، أي ما أصابك يا محمد أو إنسان من حسنة، أي من فتح، وغنيمة، وراحة وغيرها، فمن فضل الله، وما أصابك من سيئة أي من هزيمة، وتلف مال، وجوع، ومرض، وجزاء ما عملت من الذنوب.

وقوله: (اضربوا كتاب الله بعضه ببعض) معناه دفع أهل التوراة الإنجيل، وأهل الإنجيل التوراة. وكذلك دفع أهل التوراة ما لا يوافق مرادهم من التوراة، وكذلك أهل الإنجيل. (تو): (ضربوا) أي خلطوا بعضه ببعض، فلم يميزوا بين المحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، والمطلق والمقيد، من قولهم: ضربت اللبن بعضه ببعض، أي خلطته. ويحتمل أن يكون بمعنى الصرف، فإن الراكب إن أراد صرف وجه الدابة عن جهتها ضربها بعصاه، أي صرفوا كتاب الله بعضه ببعض عن المراد منه إلى ما مال إليه أهواءهم.

أقول: والوجه ما قاله المظهر، لما سبق أن قوله: (ضربوا بعضه ببعض) بيان لاسم الإشارة، والمشار إليه (التدارؤ) اللهم إلا أن يحمل الضرب والخلط على ما يلزم منه الدفع والتدارؤ.

شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٢/ ٦٩٠).



الحديث الثاني والعشرون

عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الجَوْنِيِّ، عَنْ جُنْدَبٍ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اقْرَءُوا القُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ».

أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٠٦١).

فيه الحض على الألفة والتحذير من الفرقة فى الدين، فكأنه قال: اقرءوا القرآن والزموا الائتلاف على ما دل عليه وقاد إليه، فإذا اختلفتم فقوموا عنه، أى فإذا عرض عارض شبهة توجب المنازعة الداعية إلى الفرقة فقوموا عنه: أى فاتركوا تلك الشبهة الداعية إلى الفرقة، وارجعوا إلى المحكم الموجب للألفة، وقوموا للاختلاف وعما أدى إليه، وقاد إليه لا أنه أمر بترك قراءة القرآن باختلاف القراءات التى أباحها لهم لأنه قال لابن مسعود والرجل الذى أنكر عليه مخالفته له فى القراء: كلاكما محسن، فدل أنه لم ينهه عما جعله فيه محسنًا، وإنما نهاه عن الاختلاف المؤدى إلى الهلاك بالفرقة فى الدين.

شرح صحيح البخارى لابن بطال (١٠/ ٢٨٥).



النهي عن أخذ الأجرة على تعليم القرآن الكريم

الحديث الثالث والعشرون

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ يَأْخُذُ عَلَى تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ قَوْسًا قَلَّدَهُ الله قَوْسًا مِنْ نَارٍ».

أخرجه البيهقي (٦/١٢٦) والطبراني في مسند الشاميين (١/ ١٦٧)، وصححه الألباني.



الحديث الرابع والعشرون

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: عَلَّمْتُ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ الْكِتَابَ، وَالْقُرْآنَ فَأَهْدَى إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْهُمْ قَوْسًا فَقُلْتُ: لَيْسَتْ بِمَالٍ وَأَرْمِي عَنْهَا فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، لَآتِيَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَلَأَسْأَلَنَّهُ فَأَتَيْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، رَجُلٌ أَهْدَى إِلَيَّ قَوْسًا مِمَّنْ كُنْتُ أُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْقُرْآنَ، وَلَيْسَتْ بِمَالٍ وَأَرْمِي عَنْهَا فِي سَبِيلِ اللهِ، قَالَ: «إِنْ كُنْتَ تُحِبُّ أَنْ تُطَوَّقَ طَوْقًا مِنْ نَارٍ فَاقْبَلْهَا».

أخرجه أبوداود (٣٤١٦)، وصححه الألباني.

الحديث الخامس والعشرون

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِبْلٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ، وَلَا تَأْكُلُوا بِهِ، وَلَا تَسْتَكْثِرُوا بِهِ، وَلَا تَجْفُوا عَنْهُ، وَلَا تَغْلُوا فِيهِ».

أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٥٥٣٥)، وصححه الألباني.

قَوْله: (لَا تغلوا) من الغلو بالغين الْمُعْجَمَة: وَهُوَ التشدد والمجاوزة عَن الْحَد. قَوْله: (وَلَا تجفوا) أَي: تعاهدوه وَلَا تبعدوا عَن تِلَاوَته وَهُوَ من الْجفَاء وَهُوَ الْبعد عَن الشَّيْء. قَوْله: (وَلَا تَأْكُلُوا بِهِ) أَي: بِمُقَابلَة الْقُرْآن أَرَادَ: لَا تجْعَلُوا لَهُ عوضا من سحت الدُّنْيَا.

عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢١/ ٢٦٤).

الحديث السادس والعشرون

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله - ﷺ -: «سَيَخْرُجُ أَقْوَامٌ مِنْ أُمَّتِي يَشْرَبُونَ الْقُرْآنَ كَشُرْبِهِمُ اللَّبَنَ».

أخرجه الروياني في مسنده (٢٤٩) والطبراني (٨٢١)، وحسنه الألباني.

أي يتلقونه بألسنتهم من غير تدبر لمعانيه ولا تأمل في أحكامه بل يمرونه على ألسنتهم كما يمر اللبن المشروب عليها بسرعة وهذا ذم لهم ويحتمل أن المراد يغتذون به كما يغتذى باللبن فيكون مدحا لهم.

التنوير شرح الجامع الصغير (٦/ ٤٢٧).

من تأول القرآن أو تدبره وهو جاهل بالسنة

الحديث السابع والعشرون

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «هَلَاكُ أُمَّتِي فِي الْكِتَابِ وَاللَّبَنِ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْكِتَابُ وَاللَّبَنُ؟ قَالَ: «يَتَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ فَيَتَأَوَّلُونَهُ عَلَى غَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ، وَيُحِبُّونَ اللَّبَنَ فَيَدَعُونَ الْجَمَاعَاتِ وَالْجُمَعَ وَيَبْدُونَ».

أخرجه الإمام أحمد (١٧٤١٧)، وصححه الألباني.

بَابٌ فِيمَنْ تَأَوَّلَ الْقُرْآنَ وَتَدَبَّرَهُ وَهُوَ جَاهِلٌ بِالسُّنَّةِ قَالَ أَبُو عُمَرَ: «أَهْلُ الْبِدَعِ أَجْمَعُ أَضْرَبُوا عَنِ السُّنَّةِ وَتَأَوَّلُوا الْكِتَابَ عَلَى غَيْرِ مَا بَيَّنَتِ السُّنَّةُ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْخُذْلَانِ وَنَسْأَلُهُ التَّوْفِيقَ وَالْعِصْمَةَ بِرَحْمَتِهِ، وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ التَّحْذِيرُ عَنْ ذَلِكَ فِي غَيْرِ مَا أَثَرٍ»

جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١١٩٩).

ومن ضلالهم تغافلهم عن قوله تعالى في كتابه موجها إلى نبيه ﷺ: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ﴾. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٦/ ٦٤٩).

وقوله: (يبدون) أي يخرجون إلى البادية لطلب مواضع اللبن في المراعي، كما في «النهاية».



الحديث الثامن والعشرون

عَنْ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِيكَرِبَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله - ﷺ -:«أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ الرَّجُلُ مُتَّكِئًا شَبْعَانًا، عَلَى أَرِيكَتِهِ يُحَدَّثُ بِحَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِي». وفي رواية: (يَأْتِيهِ أَمْرٌ مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ: (مَا نَدْرِي مَا هَذَا، عِنْدَنَا كِتَابُ الله لَيْسَ هَذَا فِيهِ) (بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ الله فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَلَالٍ اسْتَحْلَلْنَاهُ، وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَرَامٍ حَرَّمْنَاهُ أَلَا وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ الله - ﷺ - مِثْلُ مَا حَرَّمَ الله).

أخرجه الإمام أحمد (١٧٢١٣) وأبوداود (٤٦٠٤) والترمذي (٢٦٦٤) وابن ماجه (١٢) وابن حبان (١٣) بروايات جمعت في الحديث، وصححه الشيخ الألباني.

قوله:«أوتيت القرآن ومثله معه»؛ يعني: آتاني الله القرآنَ، ومثلَ القرآن مع القرآن، ومعنى (مثل القرآن) في وجوب القَبول والعمل به.

يعني: كما يجب العمل بالقرآن، فكذلك يجب بأحاديثي؛ لأني لا أتكلم من تلقاء نفسي، بل مما أتاني الله وأمرني به، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى۝٣إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٣ - ٤].



واعلم أن ما آتى الله رسولَه غير القرآن على أنواع:

أحدها: ما آتاه ليلة المعراج من غير واسطة مَلَكٍ.

والثاني: ما ألهمه.

والثالث: ما رآه في المنام.

والرابع: ما ينفثُ جبريل عليه السلام في رُوْعِه.

والنَّفْثُ: النَّفْخُ، الرُّوع: القلب، كما قال عليه السلام: «إنَّ جبريلَ نَفَثَ في رُوعي».

ويحتمل أن يريد بقوله: و(مثله معه) القَدْر؛ يعني: أوتيتُ القرآن، وأتيتُ أيضًا بقَدْرِ القرآن.

قوله: إلا يُوْشِكُ رجلٌ شبعانٌ... «إلى آخره، أوشَكَ يُوشِكُ: إذا قَرُبَ، (شبعان) عبارةٌ عن السَّلطنة والبطر والتكبر».

يعني: سيحدث رجال متكبرون معرضون عن أحاديثي، يقولون لأصحابهم: عليكم بهذا القرآن؛ يعني: الزموا القرآن، واعملوا به، ولا تعملوا بغير القرآن، وهذا كفر؛ لأن تركَ أَمْرِ رسول الله ﷺ كترْكِ أمر الله.

قوله:«وإنما حرَّم رسول الله عليه السلام كما حرَّم الله تعالى»؛ يعني: حرم رسول الله ﷺ في غير القرآن بأمر الله كما حرم الله تعالى في القرآن»



المفاتيح في شرح المصابيح (١/ ٢٦٧).

وعَنِ الْحَسَنِ قَالَ: «أَلَا إِنَّ»مِنَ شِرَارِ النَّاسِ أَقْوَامًا قَرَءُوا هَذَا الْقُرْآنَ لَا يَعْمَلُونَ بِسُنَّتِهِ.

البدع لابن وضاح (٢/ ١٧٤).

قارئ القرآن في ثغر من ثغور الإسلام فلا يؤتى الإسلام من قِبَلِهِ.

الحديث الثلاثون

عن حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ:«إِنَّ مَا أَتَخَوَّفُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ حَتَّى إِذَا رُئِيَتْ بَهْجَتُهُ عَلَيْهِ، وَكَانَ رِدْئًا لِلْإِسْلَامِ، غَيَّرَهُ إِلَى مَا شَاءَ اللهُ، فَانْسَلَخَ مِنْهُ وَنَبَذَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، وَسَعَى عَلَى جَارِهِ بِالسَّيْفِ، وَرَمَاهُ بِالشِّرْكِ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَيُّهُمَا أَوْلَى بِالشِّرْكِ، الْمَرْمِيُّ أَمِ الرَّامِي؟ قَالَ:«بَلِ الرَّامِي».

أخرجه ابن حبان (٨١)، وحسنه الألباني.

عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مِنْ وَلَدِ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ يَحْمِلُ رَايَةَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ وَقَدِ انْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى ظَهَرَتْ حَنِيفَةُ عَلَى الرِّجَالِ، فَجَعَلَ زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ يَقُولُ: «أَمَّا الرِّجَالُ فَلَا رِجَالَ، وَأَمَّا الرِّجَالُ فَلَا رِجَالَ»، ثُمَّ جَعَلَ يَصِيحُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ، «اللهمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِنْ فِرَارِ أَصْحَابِي، وَأَبْرَأُ



إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ مُسَيْلِمَةُ وَمُحْكَمُ بْنُ الطُّفَيْلِ»، وَجَعَلَ يَشُدُّ بِالرَّايَةِ يَتَقَدَّمُ بِهَا فِي نَحْرِ الْعَدُوِّ، ثُمَّ ضَارَبَ بِسَيْفِهِ حَتَّى قُتِلَ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ، وَوَقَعَتِ الرَّايَةُ، فَأَخَذَهَا سَالِمٌ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: يَا سَالِمُ، إِنَّا نَخَافُ أَنْ نُؤْتَى مِنْ قِبَلِكَ، فَقَالَ: بِئْسَ حَامِلُ الْقُرْآنِ أَنَا إِنْ أُتِيتُمْ مِنْ قِبَلِي».

أخرجه الحاكم (٥٠٠٦)، بإسناد صحيح.

ورواية:

عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَنْظَلَةَ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ سَالِمًا مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ قِيلَ لَهُ يَوْمَئِذٍ فِي اللِّوَى: أَيْ تَحَفَّظْ بِهِ؟ فَقَالَ غَيْرُهُ: تَخْشَى مِنْ نَفْسِكَ شَيْئًا فَتُوَلِّي اللِّوَى غَيْرَكَ؟ فَقَالَ: بِئْسَ حَامِلُ الْقُرْآنِ أَنَا إِذًا. فَقُطِعَتْ يَمِينُهُ، فَأَخَذَ اللِّوَى بِيَسَارِهِ، فَقُطِعَتْ يَسَارُهُ، فَاعْتَنَقَ اللِّوَى وَهُوَ يَقُولُ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٤٦] فَلَمَّا صُرِعَ، قِيلَ لِأَصْحَابِهِ: مَا فَعَلَ أَبُو حُذَيْفَةَ؟ قِيلَ: قُتِلَ. قَالَ: فَمَا فَعَلَ فُلَانٌ لِرَجُلٍ قَدْ سَمَّاهُ؟ قِيلَ: قُتِلَ. قَالَ فَأَضْجِعُونِي بَيْنَهُمَا». صحيح: الجهاد لابن المبارك (ص: ٩٨).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: «يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يُعْرَفَ بِلَيْلِهِ إِذَا النَّاسُ نَائِمُونَ، وَبِنَهَارِهِ إِذَا النَّاسُ يُفْطِرُونَ وَبِحُزْنِهِ إِذَا النَّاسُ يَفْرَحُونَ وَبِبُكَائِهِ إِذَا النَّاسُ يَضْحَكُونَ وَبِصَمْتِهِ إِذَا النَّاسُ يَخُوضُونَ وَبِخُشُوعِهِ إِذَا النَّاسُ يَخْتَالُونَ، وَيَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ

بَاكِيًا، مَحْزُونًا، حَلِيمًا، سَكِيتًا، لَيِّنًا. وَلَا يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ جَافِيًا وَلَا غَافِلًا، وَلَا سَخَّابًا، وَلَا صَيَّاحًا، وَلَا حَدِيدًا». صحيح: الزهد لأبي داود (ص: ١٧٠).

قال الْفُضَيْل بن عياض - رحمه الله -: «حَامِلُ الْقُرْآنِ حَامِلُ رَايَةِ الْإِسْلَامِ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَلْغُوَ مَعَ مَنْ يَلْغُو وَلَا أَنْ يَلْهُوَ مَعَ مَنْ يَلْهُو وَلَا يَسْهُوُ مَعَ مَنْ يَسْهُو وَيَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ إِلَى الْخَلْقِ حَاجَةٌ لَا إِلَى الْخُلَفَاءِ فَمَنْ دُونَهُمْ وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ حَوَايِجُ الْخَلْقِ إِلَيْهِ».

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ٩٢).

الْعُجْب والتفاخر بالقرآن الكريم

الحديث التاسع والعشرون

عَنْ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يَظْهَرُ هَذَا الدِّينُ حَتَّى يُجَاوِزَ الْبِحَارَ، وَحَتَّى يُخَاضَ بِالْخَيْلِ فِي سَبِيلِ الله، ثُمَّ يَأْتِي أَقْوَامٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، فَإِذَا قَرَءُوهُ قَالُوا: قَدْ قَرَأْنَا الْقُرْآنَ، فَمَنْ أَقْرَأُ مِنَّا؟ مَنْ أَعْلَمُ مِنَّا؟ ثُمَّ الْتَفَتَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: هَلْ تَرَوْنَ فِي أُولَئِكَ مِنْ خَيْرٍ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ الله وَمَنْ أُولَئِكَ؟ قَالَ: «أُولَئِكَ مِنْكُمْ، أُولَئِكَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ».

أخرجه الإمام ابن المبارك في الزهد (١/ ١٥٢ رقم ٤٥٠)، وأبو يعلى (١٢/ ٥٦، رقم ٦٦٩٨)، وحسنه الألباني.

وأورده الإمام ابن المبارك - رحمه الله - تحت:

بَابُ ذَمِّ الرِّيَاءِ وَالْعُجْبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

ليحذر قارئ القرآن النفاق على نفسه.

الحديث الثلاثون

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَكْثَرَ مُنَافِقِي أُمَّتِي قُرَّاؤُهَا».

أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٦٦٣٤)، وصححه الألباني.

قَالَ الشَّيْخُ -رَحِمَهُ اللهُ-:

«وَاللهُ أَعْلَمُ؛ هَذَا نِفَاقُ الْعَمَلِ لَا نِفَاقُ الِاعْتِقَادِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُنَافِقَ هُوَ الَّذِي أَظْهَرَ شَيْئًا وَأَضْمَرَ خِلَافَهُ، أَظْهَرَ الْإِيمَانَ بِاللهِ للهِ، وَأَضْمَرَ عِصْمَةَ مَالِهِ وَدَمِهِ، وَالْمُرَائِي بِعَمَلِهِ الدَّارَ الْآخِرَةَ، وَأَضْمَرَ ثَنَاءَ النَّاسِ وَعَرَضَ الدُّنْيَا، وَالْقَارِئُ أَظْهَرَ أَنَّهُ يُرِيدُ اللهَ بِعَمَلِهِ وَوَجْهِهِ لَا غَيْرَ، وَأَضْمَرَ حَظَّ نَفْسِهِ وَهُوَ الثَّوَابُ، وَيَرَى نَفْسَهُ أَهْلًا لِذَلِكَ، وَيَنْظُرُ لِعَمَلِهِ بِعَيْنِ الْإِجْلَالِ، فَلَأَنْ كَانَ بَاطِنُهُ خِلَافَ ظَاهِرِهِ صَارَ مُنَافِقًا إِذِ الْمُنَافِقُ بِإِيمَانِهِ قَصَدَ حَظَّ نَفْسِهِ، وَالْقَارِئُ بِعَمَلِهِ قَصَدَ حَظَّ نَفْسِهِ فَاسْتَوَيَا فِي الْقَصْدِ، وَمُخَالَفَةِ الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ، فَاسْتَوَيَا فِي الْإِثْمِ لِاسْتِوَائِهِمَا فِي الْقَصْدِ وَالصِّفَةِ، فَالْمُنَافِقُ رَاءَى الْإِمَامَ وَالسُّلْطَانَ وَعَوَامَّ الْمُسْلِمِينَ، وَالْمُرَائِي رَاءَى الزُّهَّادَ وَالْعُبَّادَ، وَأَرْبَابَ الدِّينِ، وَالْقَارِئُ رَاءَى اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فَصَالَ بِعَمَلِهِ، وَأُعْجِبَ بِنَفْسِهِ، وَتَمَنَّى عَلَى رَبِّهِ».

بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخبار للكلاباذي (ص: ٥٥).



(أكثر منافقي أمتي قراؤها): أي الذين يتأولونه على غير وجهه ويضعونه في غير مواضعه أو يحفظون القرآن تقية للتهمة عن أنفسهم وهم معتقدون خلافه فكان المنافقون في عصر النبي ﷺ بهذه الصفة. ذكره ابن الأثير. وقال الزمخشري: أراد بالنفاق الرياء لأن كلا منهما إرادة ما في الظاهر خلاف ما في الباطن. اه. وبسطه بعضهم فقال: أراد نفاق العمل لا الاعتقاد ولأن المنافق أظهر الإيمان بالله وأضمر عصمة دمه وماله. والمرائي أظهر بعلمه الآخرة وأضمر ثناء الناس وعرض الدنيا والقارئ أظهر أنه يريد الله وحده وأضمر حظ نفسه وهو الثواب ويرى نفسه أهلا له وينظر إلى عمله بعين الإجلال فأشبه المنافق واستويا في مخالفة الباطن.

تنبيه: قال الغزالي: أحذر من خصال القراء الأربعة: الأمل والعجلة والكبر والحسد قال وهي علل تعتري سائر الناس عموما والقراء خصوصا ترى القارئ يطول الأمل فيوقعه في الكسل وتراه يستعجل على الخير فيقطع عنه وتراه يحسد نظراءه على ما أتاهم الله من فضله فربما يبلغ به مبلغا يحمله على فضائح وقبائح لا يقدم عليها فاسق ولا فاجر ولهذا قال النووي: ما أخاف على ذمي إلا القراء والعلماء فاستنكروا منه ذلك فقال ما أنا قلته وإنما قاله إبراهيم النخعي. وقال عطاء: احذروا القراء واحذروني معهم فلو خالفت أودهم لي في رمانة أقول أنها حلوة



ويقول إنها حامضة ما أمنته أن يسعى بدمي إلى سلطان جائر. وقال الفضيل لابنه: اشتروا دارا بعيدة عن القراء. ما لي والقوم إن ظهرت مني زلة قتلوني وإن ظهرت علي حسنة حسدوني ولذلك ترى الواحد منهم يتكبر على الناس ويستخف بهم معبسا وجهه كأنما يمن على الناس بما يصلي زيادة ركعتين أو كأنما جاءه من الله منشور بالجنة والبراءة من النار أو كأنه استيقن السعادة لنفسه والشقاوة لسائر الناس ثم مع ذلك يلبس لباس المتواضعين ويتماوت وهذا لا يليق بالتكبر والترفع ولا يلائمه بل ينافيه لكن الأعمى لا يبصر.

فيض القدير (٢/ ٨٠).

وعَنْ زِيَادِ بْنِ حُدَيْرٍ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ الله عَنْهُ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ ثَلَاثَةٌ: مُنَافِقٌ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ لَا يُخْطِئُ فِيهِ وَاوًا وَلَا أَلِفًا يُجَادِلُ النَّاسَ أَنَّهُ أَعْلَمُ مِنْهُمْ لِيُضِلَّهُمْ عَنِ الْهُدَى، وَزَلَّةُ عَالِمٍ، وَأَئِمَّةٌ مُضِلُّونَ».

صحيح: صفة النفاق وذم المنافقين للفريابي (ص: ٧١).

وفي رواية: «يَهْدِمُ الْإِسْلَامَ ثَلَاثَةٌ: زَلَّةُ عَالِمٍ، وَجِدَالُ الْمُنَافِقِ بِالْقُرْآنِ، وَأَئِمَّةٌ مُضِلُّونَ».



القرآن حجة لك أو عليك

الحديث الحادي والثلاثون

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ للهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ تَمْلَآنِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا».

أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٢٣).

قوله: (والقرآن حجة لك أو عليك) يعني: أنك إذا امتثلت أوامره واجتنبت نواهيه كان حجَّة لك في المواقف التي تسأل فيها عنه، كمسألة الملكين في القبر، والمسألة عند الميزان، وفي عقبات الصراط، وإن لم تمتثل ذلك احتجّ به عليك، ويحتمل أن يراد به: أن القرآن هو الذي يُنتهى إليه عند التنازُع في المباحث الشرعيَّة والوقائع الحكمية، فبه تَستدلُّ على صحة دعواك، وبه يستدل عليك خصمك.

المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١/ ٤٧٧).

وجوب الطهارة لقراءة القرآن الكريم

الحديث الثاني والثلاثون

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ:«لَا يَمَسَّ الْقُرْآنَ إِلَّا طَاهِرٌ».

أخرجه الحاكم (١٤٤٧)، وحسنه الألباني.

عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ كَانَ لاَ يَمَسُّ الْمُصْحَفَ إِلاَّ وَهُوَ طَاهِرٌ.

صحيح: رواه ابن أبي شيبة (٧٥٠٦).

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ سَلْمَانَ قَالَ: كُنَّا مَعَهُ فِي سَفَرٍ فَانْطَلَقَ فَقَضَى حَاجَتَهُ ثُمَّ جَاءَ فَقُلْتُ: أَيْ أَبَا عَبْدِ الله، تَوَضَّأْ لَعَلَّنَا نَسْأَلُكَ عَنْ آيٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَقَالَ: «سَلُونِي فَإِنِّي لَا أَمَسُّهُ إِنَّهُ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» فَسَأَلْنَاهُ فَقَرَأَ عَلَيْنَا قَبْلَ أَنْ يَتَوَضَّأَ.

صحيح: رواه الدارقطني وصححه، والحاكم (٦٥١)وقال: صحيح على شرط الشيخين، وهو كما قال.

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: هَلْ يَجُوزُ مَسُّ الْمُصْحَفِ بِغَيْرِ وُضُوءٍ أَمْ لَا؟ فَأَجَابَ: مَذْهَبُ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ أَنَّهُ لَا يَمَسُّ الْمُصْحَفَ إلَّا طَاهِرٌ كَمَا قَالَ فِي الْكِتَابِ الَّذِي كَتَبَهُ رَسُولُ الله ﷺ لِعَمْرِو بْنِ حَزْمٍ: ﴿أَنْ لَا يَمَسَّ الْقُرْآنَ إلَّا طَاهِرٌ﴾. قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَد:

لَا شَكَّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَتَبَهُ لَهُ وَهُوَ أَيْضًا قَوْلُ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ وَعَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ وَغَيْرِهِمَا. وَلَا يُعْلَمُ لَهُمَا مِنْ الصَّحَابَةِ مُخَالِفٌ.

مجموع الفتاوى (٢١/ ٢٦٥).



الدعاء بجعل القرآن ربيع القلب

الحديث الثالث والثلاثون

عَنْ عَبْدِ الله بن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ وَحَزَنٌ: اللهمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ الله عَزَّ وَجَلَّ هَمَّهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا»، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ؟ قَالَ: «أَجَلْ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ».

أخرجه الإمام أحمد (٤٣١٨) وأبويعلى (٥٢٩٧)، وصححه الألباني.

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى -:

«وقوله: أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري، يجمع أصلين: الحياة والنور، فإن الربيع هو المطر الذي يحيي الأرض، فينبت الربيع، فيسأل الله بعبوديته وتوحيده وأسمائه وصفاته أن يجعل كتابه الذي جعله روحا للعالمين ونورا وحياة لقلبه، بمنزلة الماء الذي يحيي به الأرض، ونورا له بمنزلة الشمس التي تستنير بها الأرض والحياة. والنور جماع



الخير كله، قال تعالى: ﴿أَ وَ مَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ وَ جَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُماتِ﴾ (١٢٢) [الأنعام] وقال تعالى: ﴿وَكَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا ما كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتابُ وَ لَا الْإِيمانُ وَلكِنْ جَعَلْناهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا﴾ (٥٢) [الشورى].

فأخبر أنه روح، تحصل به الحياة، ونور تحصل به الهداية، فأتباعه لهم الحياة والهداية، ومخالفوه لهم الموت والضلال. وقد ضرب سبحانه المثل لأوليائه وأعدائه بهذين الأصلين، في أول سورة البقرة، وفي وسط سورة النور، وفي سورة الرعد، وهما المثل المائي، والمثل الناري. وقوله: «وجلاء حزني، وذهاب همي وغمي، إن جلاء هذا يتضمن إزالة المؤذي الضار، وذلك يتضمن تحصيل النافع السار، فتضمن الحديث طلب أصول الخير كله، ودفع الشر، وبالله التوفيق».

شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل - ط الجيل (ص: ٦٨٥).

وقال العلامة السندي - رحمه الله -: ناصيتي بيدك: كناية عن كمال قدرته تعالى على التصرف فيه.

ماض فى: أي: نافذ حكمك فى، لا راد لما قضيت.

عدل فى: أي: لأنك المالك من كل الوجوه، فلا يتصور الظلم في قضائك.

هو لك: صفة للاسم للتعميم، مثل: ﴿وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ﴾ لما تقرر أنه إذا أجري على شيء صفة شاملة لجنسه يعم.

في كتابك: أي: من الكتب السماوية، فالمراد بالكتاب الجنس.

أو استأثرت به: أي: اخترته واصطفيته في علمك مخزوناً عندك.

ربيع قلبي: أي: متنزهه ومكان رعيه وانتفاعه بأنواره وأزهاره وأشجاره وثماره، المشبه بها أنواع العلوم والمعارف وأصناف الحكم والأحكام واللطائف.

جِلاء، بكسر جيم ومد، أي: إزالة حزني.

الحديث الرابع والثلاثون

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ:«الْقرْآنُ مُشَفَّعٌ، وَمَاحِلٌ مُصَدَّقٌ، مَنْ جَعَلَهُ إِمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ».

أخرجه ابن حبان (١٢٤)، وصححه الألباني.

قال ابن حبان: ذِكْرُ الْبَيَانِ بِأَنَّ الْقُرْآنَ مَنْ جَعَلَهُ إِمَامَهُ بِالْعَمَلِ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ جَعَلَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ بِتَرْكِ الْعَمَلِ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ.

الحديث الخامس والثلاثون

عن عائشة عن النبي - ﷺ - قال: «اجعلُوا من صلاتِكم في بُيوتِكم، ولا تجعلُوها عليكم قُبوراً، كما اتَّخذت اليهود والنصارى في بيوتهم قبوراً، وإنَّ البيت ليُتلى فيه القرآن؛ فيتراءى لأهلِ السماء كما تتراءى النجومُ لأهل الأرضِ».

أخرجه الإمام أحمد (٦/ ٦٥)، وحسنه الألباني.

الحديث السادس والثلاثون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «تَعَلَّمُوا الْبَقَرَةَ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا يُطِيقُهَا الْبَطَلَةُ».

وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ، يَقُولُ لِصَاحِبِهِ: هَلْ تَعْرِفُنِي؟ أَنَا الَّذِي كُنْتُ أُسْهِرُ لَيْلَكَ، وَأُظْمِئُ هَوَاجِرَكَ، وَإِنَّ كُلَّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ، وَأَنَا لَكَ الْيَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تَاجِرٍ، فَيُعْطَى الْمُلْكَ بِيَمِينِهِ، وَالْخُلْدَ بِشِمَالِهِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، وَيُكْسَى وَالِدَاهُ حُلَّتَانِ، لَا يَقُومُ لَهُمَا الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، فَيَقُولَانِ: يَا رَبُّ، أَنَّى لَنَا هَذَا؟ فَيُقَالُ لَهُمَا: بِتَعْلِيمِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ، وَإِنَّ صَاحِبَ الْقُرْآنِ يُقَالُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: اقْرَأْ، وَارْقَ فِي الدَّرَجَاتِ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ مَعَكَ».

أخرجه الطبراني في الأوسط (٥٧٦٤)، وحسنه الألباني.

(كالرجل الشاحب) قال السيوطي هو المتغير اللون والجسم لعارض من العوارض كمرض أو سفر ونحوهما وكأنه يجيء على هذه الهيئة ليكون أشبه بصاحبه في الدنيا. أو للتنبيه له على أنه كما تغير لونه في الدنيا لأجل القيام بالقرآن كذلك القرآن لأجله في السعي يوم القيامة. حتى ينال صاحبه الغاية القصوى في الآخرة.

حاشية السندي على سنن ابن ماجه (٢/ ٤١٦).



الحديث السابع والثلاثون

عَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله - ﷺ -: «مَنْ أَخَذَ السَّبْعَ الْأُوَلَ مِنْ الْقُرْآنِ فَهُوَ حَبْرٌ».

أخرجه الإمام أحمد (٢٤٤٨٧)، وحسنه الألباني.

السبع الأول: السور السبع الطوال من أول القرآن، وهي: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والتوبة.

(حَبْر) أي: عالم.

وجوب تعاهد حفظ القرآن الكريم

الحديث الثامن والثلاثون

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، قَالَ: «إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ الْإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ، إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ».

أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٢٦).

وفي رواية له:

«وَإِذَا قَامَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ فَقَرَأَهُ بِاللَّيْلِ، وَالنَّهَارِ ذَكَرَهُ، وَإِذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ نَسِيَهُ».

الحديث التاسع والثلاثون

عنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْإِبِلِ فِي عُقُلِهَا».

أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٣١).

قال الطيبيّ -رَحِمَهُ الله-: تعاهد الشيء، وتعهّده: محافظته، وتجديد العهد به؛ أي: واظبوا على تلاوته، وداوموا على تكراره ودَرْسه كيلا يُنْسَى.

الحديث الأربعون

عنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيِّ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «أَبْشِرُوا وَأَبْشِرُوا، أَلَيْسَ تَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «فَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ سَبَبٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللهِ، وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ، فَتَمَسَّكُوا بِهِ، فَإِنَّكُمْ لَنْ تَضِلُّوا، وَلَنْ تَهْلِكُوا بَعْدَهُ أَبَدًا».

أخرجه ابن حبان (١٢٢)، وصححه الألباني.

الحديث الحادي والأربعون

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثٍ لَمْ يَفْقَهْهُ».

أخرجه الإمام أحمد (٦٨٤١)، وصححه الألباني.

وهذا.. صريح قوله ﷺ: «من قرأ القرآن في أقل من ثلاث؛ لم يفقهه».

وهذا نص عام شامل لجميع الأشخاص، وفيه التقدير بثلاث ليال؛ فكيف يقال:

إنه لا تقدير في ذلك؟! فقد ذكر ﷺ أن كل من يقرأ القرآن في أقل من ثلاث لا يفقهه، ولا يفهمه الفهم المقصود من تلاوة القرآن.

كما قد أشار إلى ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾.

وقال ابن مسعود: من قرأ القرآن في أقل من ثلاث؛ فهو راجز. هَذٌّ كهَذِّ الشعر، ونثر كنثر الدِّقَل.

وكان معاذ بن جبل لا يقرأ القرآن في أقل من ثلاث.

ذكرهما ابن نصر (٦٣).



وقد نسب - عليه الصلاة والسلام - كل من خالف ذلك إلى عدم الفقه - كما هو ظاهر معنى الحديث المذكور باللفظ الثاني -.

فالحق أنه لا يجوز قراءة القرآن في أقل من ذلك. وهو اختيار الإمام أحمد وغيره من الأئمة - كما سلف -. وقال الحافظ ابن كثير في «فضائل القرآن» (ص ١٧٢):

«وقد كره غير واحد من السلف قراءة القرآن في أقل من ثلاث، كما هو مذهب أبي عُبيد وإسحاق بن راهويه، وغيرهما من الخلف أيضاً، وثبت عن كثير من السلف أنهم قرؤوا القرآن في أقل من ذلك، وهو محمول على أنه ما بلغهم في ذلك حديث مما تقدم، أو أنهم كانوا يفهمون ويتفكرون فيما يقرؤونه مع هذه السرعة».

قلت: والجواب الصحيح هو الأول، وأما هذا؛ فمخالف لقوله ﷺ: «من قرأ القرآن في أقل من ثلاث؛ لم يفقهه» - كما بينا -. ولم يكن رسول الله ﷺ ونهاه أن يقرأه في أقل من ذلك . وعَلَّلَ ذلك في قوله له:

«من قرأ القرآن في أقل من ثلاث؛ لم يفقَهْهُ». وفي لفظ: «لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث».

أصل صفة صلاة النبي ﷺ (٢/ ٥٢١).



تأكيد السواك قبل قراءة القرآن الكريم

الحديث الثاني والأربعون

عن أبي عبدالرحمن السلمي، عن علي - رضي الله تعالى عنه - قال: «أمرنا بالسواك، وقال: إن العبد إذا قام يصلي أتاه الملك، فقام خلفه يستمع القرآن، ويدنو فلا يزال يستمع ويدنو، حتى يضع فاه على فيه، فلا يقرأ آية إلا كانت في جوف الملك».

أخرجه البيهقي (٧٣٣) ، وصححه الألباني مرفوعا .

الحديث الثالث والأربعون

عن أبي سفيان، عن جابر بن عبدالله الأنصاري، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قام أحدكم يصلي من الليل، فليستك؛ فإن أحدكم إذا قرأ في صلاته وضع ملك فاه على فيه، ولا يخرج من فيه شيء إلا دخل فم الملك».

أخرجه البيهقي (٧٣٤)، وحسنه الألباني.

قال الحافظ في الفتح: «الحكمة في استحباب السواك عند القيام إلى الصلاة كونها حال تقرب إلى الله فاقتضى أن تكون حال كمال ونظافة إظهارا لشرف العبادة، وقد ورد من حديث علي عند البزار ما يدل على أنه لأمر يتعلق بالملك الذي يستمع القرآن من المصلي، فلا يزال يدنو منه حتى يضع فاه على فيه». انتهى.

استقبال القبلة أثناء قراءة القرآن

الحديث الرابع والأربعون

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل شيء سيداً، وإن سيد المجالس قبالة القبلة».

أخرجه الطبراني في الأوسط [مجمع البحرين (٣٠٦٢)].

قال الهيثمي في المجمع (٨/ ٥٩): رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن. ا. هـ.

وحسنه العلامة الألباني - رحمه الله - في صحيح الترغيب (٣/ ١٩١ ح ٣٠٨٥).

جاء في «الموسوعة الفقهية» (٤/ ٧٦) : «قرر الفقهاء أن جهة القبلة هي أشرف الجهات ولذا يستحب المحافظة عليها حين الجلوس؛ لقوله ﷺ: (إن سيد المجالس ما استقبل القبلة). قال صاحب الفروع: ويتجه في كل طاعة إلا لدليل..» انتهى.

والحديث حسن إسناده الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ ١٠٧).

وسئل الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: هل يجب استقبال القبلة عند التلاوة؟ فأجاب: «ينبغي استقبال القبلة؛ لأن تلاوة القرآن عبادة، والعبادة يستحب فيها استقبال القبلة، فإذا تيسر هذا فهو من المكملات، وإذا لم يستقبل القبلة فلا حرج في ذلك» انتهى من «المنتقى من فتاوى الفوزان» (٢/ ٣٥).

الحديث الخامس والأربعون

عَنْ مِشْرَحِ بْنِ هَاعَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَوْ جُعِلَ الْقُرْآنُ فِي إِهَابٍ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، مَا احْتَرَقَ».

أخرجه الدارمي (٣٣٣٧)، وحسنه الألباني.

قيل: معناه من علمه الله القرآن لم تحرقه نار الآخرة، فجعل جسم حافظ القرآن كالإهاب له، وذكر في شرح السنة بعد القول الثانى: هذا كما روى عن أبي أمامة (احفظوا القرآن، فإن الله تعالي لا يعذب بالنار قلباً وعى القرآن)، وزاد علي القولين: قال أحمد بن حنبل: معناه لو كان القرآن في إهاب يعنى في جلد في قلب رجل، لرجى لمن القرآن محفوظ في قلبه أن لا تمسه النار.

وإنما ضرب ضرب المثل بالإهاب، وهو الجلد الذي لم يدبغ؛ لأن الفساد إليه أسرع ونفخ النار فيه أنفذ؛ ليبسه وجفافه، بخلاف المدبوغ للينه، المعنى: لو قدر أن يكون القرآن في إهاب ما مسته النار لبركة مجاورته للقرآن، فكيف بالمؤمن الذي تولي حفظه، والمواظبة عليه؟ والمراد بالنار نار الله الموقدة، المميزة بين الحق والباطل.

شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٥/ ١٦٦٢).



القرآن والعلم يزيد الشريف شرفا وَيرْفَع العَبْد الْمَمْلُوك حَتَّى يجلسه مجَالِس الْمُلُوك

الحديث السادس والأربعون

عَنْ عَامِرِ بْنِ وَاثِلَةَ، أَنَّ نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ، لَقِيَ عُمَرَ بِعُسْفَانَ، وَكَانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى مَكَّةَ، فَقَالَ: مَنِ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي، فَقَالَ: ابْنَ أَبْزَى، قَالَ: وَمَنِ ابْنُ أَبْزَى؟ قَالَ: مَوْلًى مِنْ مَوَالِينَا، قَالَ: فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلًى؟ قَالَ: إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ، قَالَ عُمَرُ: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ قَدْ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ».

أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٦٩).

فيه من الفقه؛ جواز أن يولى المولى على الأحرار إذا كان ممن قرأ القرآن وعرف الفرائض.

وفيه من الفقه؛ أن القرآن كما يرفع الله عز وجل بحفظه والعمل به أقوامًا، فكذلك يخفض به آخرين أضاعوه ولم يعملوا به بما أمروا به فيه.

الإفصاح عن معاني الصحاح (١/ ٢١٨).

(إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ)، أَيْ بِالْإِيمَانِ بِهِ وَتَعْظِيمِ شَأْنِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ، وَالْمُرَادُ بِالْكِتَابِ الْقُرْآنُ الْبَالِغُ فِي الشَّرَفِ وَظُهُورِ الْبُرْهَانِ مَبْلَغًا لَمْ

يَبْلُغْهُ غَيْرُهُ مِنَ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الرُّسُلِ الْمُتَقَدِّمَةِ (أَقْوامًا)، أَيْ دَرَجَةَ جَمَاعَاتٍ كَثِيرَةٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِأَنْ يُحْيِيَهُمْ حَيَاةً طَيِّبَةً فِي الدُّنْيَا وَيَجْعَلَهُمْ مِنَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ فِي الْعُقْبَى (وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ)، أَيْ الَّذِينَ كَانُوا عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ مِنْ مَرَاتِبِ الْكَامِلِينَ إِلَى أَسْفَلِ السَّافِلِينَ، قَالَ - تَعَالَى - ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦] فَهُوَ مَاءٌ لِلْمَحْبُوبِينَ دِمَاءٌ لِلْمَحْجُوبِينَ، وَقَالَ - عَزَّ وَجَلَّ - ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢] قَالَ الطِّيبِيُّ: فَمَنْ قَرَأَهُ وَعَمِلَ بِهِ مُخْلِصًا رَفَعَهُ اللهُ، وَمَنْ قَرَأَهُ مُرَائِيًا غَيْرَ عَامِلٍ بِهِ وَضَعَهُ اللهُ.

مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ١٤٥٧).

وكتب / طاهر بن نجم الدين بن نصر بن صالح بن محمد المَحَسِيّ

المدينة النبوية، وداي العقيق

١٢ ربيع الأول ١٤٤٦ هـ



الفهرست





